

## المبحث الثاني

البناء العاطفي والنفسي للطفل

«ما يعلم أهل السماء؛ وأهل الأرض، ما يثيبُ الله العبدَ على الشيء يفرح به عياله وأهله وولده».

الحسن البصري

(كتاب العيال لابن أبي الدنيا (٢/٥٥٨)).

## البناء العاطفي والنفسي للطفل

تمهيد :

تشكل العاطفة مساحة واسعة في نفس الطفل الناشئ، وهي تكوّن نفسه، وتبنى شخصيته، فإن أخذها بشكل متوازن، كان إنساناً سوياً، في مستقبله، وفي حياته كلها، وإن أخذها بغير ذلك، سواء بالزيادة أو النقصان، تشكلت لديه عقدة، لا تُحمد عُقباها، فالزيادة تجعله مدلاً، لا يقوم بتكاليف الحياة بجد ونشاط، ونقصانها يجعله إنساناً قاسياً عنيفاً على كل من حوله، لذلك فإن البناء العاطفي، له أهمية خاصة في بناء نفس الطفل وتكوينه، وهذا البناء يلعب فيه الدور الأكبر الوالدان، إذ هما المصدر الأساسى لأشعة العاطفة التى تبني نفسه، وهما الركن الرشيد الذى يأوى إليه الطفل؛ لينعم بحرارة العاطفة، ونعمة الأبوة والأمومة، لذلك نجد في نهاية هذا الفصل، اهتماماً كبيراً لصنفين من الأطفال، يقلل الوالدان، أو أحدهما، العطف عليه، وهما البنت واليتيم، ونظراً لاهتمام الرسول ﷺ بالأطفال، فإنه عنى بهما عناية خاصة، ومنزلة خاصة، فحبذا المجتمع المسلم يقوم بدور الأب، لهذا اليتيم، وحبذا الوالدان يهتمان بتربية البنت، ورعايتها؛ ومساواتها مع أخيها الذكر .

وبقى السؤال: كيف نبني عاطفة الطفل، ونؤدى له حقه، ليكون إنساناً سوياً في حياته؟ للجواب عن هذا السؤال، كانت هذه الجولة في الأحاديث النبوية الشريفة، واستنباط هذه الأسس، التى بتطبيقها نسير على هدى ونور بينين .

**الأساس العاطفي الأول : القُبلة، والرأفة، والرحمة بالأطفال :**

إن القُبلة دوراً فعالاً في تحريك مشاعر الطفل وعاطفته، كما أن لها دوراً كبيراً في

تسكين ثورانه وغضبه، بالإضافة إلى الشعور بالارتباط الوثيق في تشييد علاقة الحب بين الكبير والصغير، وهى دليل رحمة القلب والفؤاد لهذا الطفل الناشئ، وهى برهان على تواضع الكبير للصغير، وهى النور الساطع الذى يبهر فؤاد الطفل، ويشرح نفسه، ويزيد من تفاعله مع من حوله، ثم هى أولاً وأخيراً السنة الثابتة عن المصطفى ﷺ مع الأطفال .

أخرج البخارى ومسلم عن عائشة ؓ قالت: قدم ناس من الأعراب على رسول الله ﷺ فقالوا: أتقبلون صبيانكم؟ فقال: «نعم» قالوا: لكننا والله لا نقبل، فقال رسول الله ﷺ: «أَوْ أَمْلِكُ إِنْ كَانَ اللَّهُ نَزَعَ مِنْ قُلُوبِكُمُ الرَّحْمَةَ»<sup>(١)</sup>.

وأخرج البخارى ومسلم عن أبى هريرة ؓ قال: قَبَّلَ النَّبِيُّ ﷺ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - فَقَالَ الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ: إِنْ لِي عَشْرَةٌ مِنَ الْوَلَدِ، مَا قَبَّلْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ». وروى ابن عساكر عن أنس ؓ قال: كَانَ ﷺ أَرْحَمَ النَّاسِ بِالصِّبْيَانِ وَالْعِيَالِ<sup>(٢)</sup>.

وإن الرحمة بالأطفال، والشفقة عليهم، صفة من صفات النبوة المحمدية، وهى طريق لدخول الجنة، والفوز برضوان الله تعالى:

روى البخارى عن أنس ؓ قال: جاءت امرأة إلى عائشة - رضى الله عنها - فأعطتها ثلاث تمرات، فأعطت كل صبي لها ثمرة، وأمسكت لنفسها ثمرة، فأكل الصبيان التمرتين، ونظرا إلى أمهما، فعمدت الأم إلى الثمرة، فشقتها، فأعطت كل صبي نصف ثمرة، فجاء النبي ﷺ فأخبرته عائشة، فقال ﷺ: «وما يعجبك من ذلك، لقد رحمها الله، برحمتها صبيها» .

ومن صور رحمة الرسول ﷺ بالأطفال: ما أخرجه البخارى عن أنس ؓ: «إني

(١) رواه أحمد في المسند (٦/ ٧٠).

(٢) صحيح. انظر: صحيح الجامع رقم (٤٧٩٧) ورواه مسلم وأبو الشيخ .

لأدخل في الصلاة، وأنا أريد أن أطيلها، فأسمع بكاء صبي، فأتجوز في صلاتي؛ لما أعلم من وجد أمه من بكائه». رواه الخمسة إلا أبا داود.

وعن أبي قتادة رضي الله عنه قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بالناس، وهو حامل أمامة بنت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا سجد وضعها، وإذا قام حملها» أخرجه الستة إلا الترمذي <sup>(١)</sup>.

ومن رحمته صلى الله عليه وسلم بالطفل: أنه لا يفرق بينه وبين أمه:

روى الإمام أحمد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بالسبي فيعطى أهل البيت جميعاً؛ كراهية أن يفرق بينهم. إنه رحمة للعالمين أجمعين صلى الله عليه وسلم.

ومن رحمته صلى الله عليه وسلم بالطفل: أنه كان لا يطيل الصلاة إذا أحس بصبي يبكي، وهو يريد تطويلها فيقصرها ويخففها:

روى البخاري عن أبي قتادة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إنني لأقوم في الصلاة أريد أن أطول فيها، فأسمع بكاء الصبي، فأتجوز في صلاتي؛ كراهية أن أشق على أمه». ورواه النسائي وأبو داود وابن ماجه وأحمد.

وفي رواية للبخاري عن أنس رضي الله عنه قال: ما صليت وراء إمام قط، أخف صلاة، ولا أتم من النبي صلى الله عليه وسلم، وإن كان ليسمع بكاء الصبي، فيخفف مخافة أن تفتن أمه.

وروى البخاري عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إنني لأدخل في الصلاة وأنا أريد إطالتها، فأسمع بكاء الصبي، فأتجوز في صلاتي، مما أعلم من شدة وجد أمه من بكائه». وفي رواية: «فأتجوز في صلاتي كراهية أن أشق على أمه».

وإن القلب ليعجب عندما يرى أو يسمع الصغار يعلمون الآباء الرحمة بالحيوان، ويذكرونهم برحمة الله بهم، فقد ذكر الفخر الرازي في تفسيره (١٣/٢٢): أن صياداً كان يصيد السمك، فصاد سمكة، وكان له ابنة، فأخذتها ابنته، فطرحها

(١) ورواه ابن خزيمة في صحيحه (١/٣٨٣، ٢/٤١).

في الماء، وقالت : إنها ما وقعت في الشبكة إلا لغفلتها . قال الفخر الرازي معلقاً :

إلهنا، تلك الصبية رحمت غفلة هاتيك السمكة، وكانت تلقيها مرة أخرى في البحر، ونحن قد اصطادتنا وسوسة إبليس، وأخرجتنا من بحر رحمتك، فارحمنا بفضلك، وخلصنا منها، وألقنا في بحر رحمتك مرة أخرى .

ومن صور شدة رحمة الأمهات بأطفالهن : ما أخبرنا بها رسول الله ﷺ، هذه الصورة العجيبة التي لها دلالات على تفجر الرحمة من قلب الأم على طفلها - ألا ليت كل أم تغدق بمثل هذه الرحمة على وليدها :

أخرج الإمام أحمد والبخاري ومسلم في صحيحيهما و النسائي عن أبي هريرة ؓ قال : قال رسول الله ﷺ : «بينما امرأتان، معهما ابنان لهما، إذ جاء الذئب فأخذ أحد الابنين، فتحاكما إلى داود، ف قضى به للكبرى، فخرجتا، فدعاها سليمان، فقال: هاتوا السكين أشقه بينكما، فقالت الصغرى: يرحمك الله، هو ابنها لا تشقه، فقضى به للصغرى» . وصدق الله العظيم الذي أخبر عن سليمان : ﴿وَأَتَيْنَهُ الْحِكْمَةَ وَفُضِّلَ الْخِطَابُ﴾ [ص] .

ونلاحظ قسوة قلب الأم الكبرى في هذه القصة، فلقد سرق الذئب ابنها، ولم تظهر حزنها عليه، بل أظهرت قسوة لا يتصورها عقل رجل، فضلاً عن قلب امرأة، فلجأت إلى سرقة ابن زميلتها؛ لأنه لا يعقل أن يكونا متشابهين تشابهاً تاماً، كما لا يعقل ألا تميز الأم ابنها من بين طفلين، فالحديث دلّ على قسوة قلب الأم الكبرى، ورحمة قلب الصغرى .

كما نلاحظ كمال عدل سيدنا سليمان - عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام - فكماال العدل حل لكثير من المشاكل بين الناس، والعدل المطلق إنما هو الله تعالى .

ومن تطبيق الصحابة - رضوان الله عليهم - لسنة تقبيل الطفل : ما رواه ابن أبي

الدنيا في كتاب العيال (١/ ٤٢٤) عن أبي عثمان النهدي قال : رأى المنصفُ عمرَ ابن الخطاب رضي الله عنه يقبّل ابنه، فقال : تُقبّل ابنك وأنت خليفة ؟! لو كنت خليفة ما قبّلتُ ابني، فقال : ما ذنبي إن كان الله - تبارك وتعالى - قد نزع منك الرحمة، إنما يرحم الله - عز وجل - من عباده الرحماء.

هكذا حولت التربية النبوية عمر بن الخطاب من القسوة إلى الرحمة، ومن الوأد إلى المداعبة، ومن الفظ إلى الرحيم.

وهذا مثال آخر من موادعة عمر للأطفال، وتحببه لهم، وخدمته إياهم :  
روى ابن أبي الدنيا (١/ ٤١٨) عن هارون بن رثاب، حدثنا سنان بن سلمة بالبحرين قال : كنتُ في غلّمة بالمدينة نلتقط البلح، فأبصرنا عمرُ، وسعى الغلمانُ، وقمتُ، فقلت : يا أمير المؤمنين، إنما هو ما أَلقت الريح، قال : أرني أنظر، فلما أريته، قال : انطلق، قال : قلت : يا أمير المؤمنين، ولّي هؤلاء الغلمان، إنك لو تواريت انتزعوا ما معي، قال : فمشى معي حتى بلغتُ مأمنى .

ومن ذلك أيضًا : تقبيل الابنة إذا كانت مريضة، وسؤالها عن صحتها :  
روى ابن أبي الدنيا (١/ ٤٠٨) - بسند حسن لغيره - عن البراء قال : اشترى أبو بكر من عازب رَحْلاً، فحملتهُ مَعَه، فدخلتُ معه إلى أهله، فإذا عائشة مضطجعةٌ وهي محمومةٌ فأكبّت عليها، وقبّل خَدَّها، وقال : كيف تجدك يا بُنية ! .

ومن شدة رحمته ﷺ بالأطفال : أنه أمر ألا تقتل أطفال الكفار، ونهى عن ذلك :  
فعن ابن عمر رضي الله عنه : «أن امرأةً وجدت في بعض مغازي النبي ﷺ مقتولةً، فأنكر رسول الله ﷺ قتل النساء والصبيان» . متفق عليه .

وكانت وصيته لقواد الجيش ووصية خلفائه الراشدين المهديين من بعده : «ألا تقتلوا صبيًّا ولا امرأة...» .

بل إن صبيان الكفار ليضربونه بالحجارة عند ذهابه للطائف وعودته منها، فيسيل دمه ﷺ على الأرض، ولا يرفع رجله ولا يضعها على الأرض إلا أصيبت بحجر، وينزل عليه جبريل وملك الجبال ويستأذنه في أن يطبق عليهم الجبلين فيموتوا جميعاً، فيرفض الرسول ﷺ ويقول: «أرجو من الله - تعالى - أن يخرج من أصلاهم من يعبد الله تعالى» وقد كان ذلك وتحقق أمله ودعاؤه. وصدق الله العظيم: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء] فهو الرحمة المهداة، وتعاليمه وشرعه كلها رحمة وأى رحمة.

### الأساس العاطفي الثاني: المداعبة والممازحة مع الأطفال:

سنعيش سوياً مع طائفة من الأحاديث النبوية الشريفة، نأخذ منها الدروس العملية من رسول الله ﷺ، في مداعبة الأطفال؛ تارة بالركض، وأخرى بالحمل وثالثة بتصغير الاسم، ورابعة بالمضاحكة، إلى غير ذلك.

وهذه الأعمال إن لم يقم بها الآباء لأنها واجب تربوي، فهم مطالبون بها للاقتداء برسول الله ﷺ: روى الطبراني عن جابر رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ، فدعينا إلى الطعام، فإذا الحسين يلعب في الطريق مع صبيان، فأسرع النبي ﷺ أمام القوم، ثم بسط يده، فجعل يقرّها هنا وهناك، فيضاحكه رسول الله ﷺ، حتى أخذه، فجعل إحدى يديه في ذقنه، والأخرى بين رأسه وأذنيه، ثم اعتنقه وقبله، ثم قال: «حسين مني، وأنا منه، أحب الله من أحبه، الحسن والحسين سبطان من الأسباط»<sup>(١)</sup>.

وروى البخاري في الأدب المفرد والطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت أذنأي هاتان، وبصرت عيناى هاتان، رسول الله ﷺ؛ أخذ بيديه جميعاً؛ بكفى الحسن أو الحسين، وقدميه على قدم رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ يقول: «أزقه» قال: فرقى

(١) حسن: ورواه البخاري في الأدب والترمذي وابن ماجه والحاكم. انظر: صحيح الجامع، رقم (٣١٤٦). ويطلق السبط على ولد البنت، والحفيد على ولد الابن.



الغلام، حتى وضع قدميه على صدر رسول الله ﷺ، ثم قال رسول الله ﷺ: «افتح فاك؛ ثم قبله» ثم قال: «اللهم أحبه، فإنني أحبه». وقد جاء في الإصابة وزاد: حزقة؛ حزقة، تَرَقَّ عَيْن بَقَّة. وجاء في النهاية لابن الأثير: إنه - عليه الصلاة والسلام - كان يرقص الحسن والحسين، ويقول: «حزقة؛ حزقة، ترق عَيْن بَقَّة» فيرقى الغلام، حتى وضع قدميه على صدره. الحزقة: الضعيف، المتقارب الخطو من ضعفه، وقيل: القصير العظيم البطن، فذكرها على سبيل المداعبة والتأنيس له، وترق: بمعنى اصعد، وعَيْن بَقَّة كناية عن صغر العين<sup>(١)</sup>.

وأخرج البخاري ومسلم والترمذي وأبو داود عن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقاً، وكان لي أخ، يقال له: أبو عمير - وهو فطيم - كان إذا جاءنا قال: «يا أبا عمير، ما فعل النُّعير؟!» لنغر كان يلعب به.

وفي رواية لأحمد (٣/ ١٨٨ و ٢٠١-٢١٢) عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ، كان يدخل على أم سليم، ولها ابن من أبي طلحة، يكنى أبا عمير، وكان يهازحه، فدخل عليه، فرآه حزينا، فقال: «ما لي أرى أبا عمير حزينا» فقالوا: مات نغره، الذي كان يلعب به، قال: فجعل يقول: «أبا عمير، ما فعل النُّعير؟!» وتقدم قول الحافظ ابن حجر في الفتح: أن هذا الحديث فيه: جواز الممازحة، وتكرير المزاح، وأنها إباحة سنة لا رخصة، وأن ممازحة الصبي الذي لم يميز جائزة، وتكرير زيادة الممزوح معه، وفيه ترك التكبر والترفع، والفرق بين كون الكبير في الطريق فيتواقر، أو في البيت فيمزح.

وأخرج الترمذي وأبو داود عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يا ذا الأذنين» يعني: يهازحه<sup>(٢)</sup>.

وروى الترمذي وقال: حديث غريب عن أنس رضي الله عنه أنه قال: كناني رسول

(١) انظر كتاب: سيدنا محمد رسول الله للشيخ عبد الله سراج الدين (ص ١٥٧).

(٢) ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب العيال (١/ ٣٧٣) بسند حسن، قاله محققه.

الله ﷺ ببقلة، كنت أجتنيها <sup>(١)</sup> .

وأخرج البخارى عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال : لما قدم رسول الله ﷺ مكة، استقبله أغيلمة بنى المطلب، فحمل واحداً بين يديه، وآخر خلفه .

وأخرج البخارى عن ابن عباس - رضى الله عنهما - أن أسامة كان ردف النبي ﷺ من عرفة إلى المزدلفة، ثم أردف الفضل من المزدلفة إلى منى، فكلاهما قال : لم يزل النبي ﷺ يلبي حتى رمى جمرة العقبة .

وعن عبد الله بن شداد قال : بينما رسول الله ﷺ يصلى بالناس، إذ جاءه الحسين، فركب عنقه، وهو ساجد، فأطال السجود بالناس، حتى ظنوا أنه قد حدث أمر، فلما قضى صلاته، قالوا : قد أطلت السجود يا رسول الله، حتى ظننا أنه قد حدث أمر، فقال : «إن ابني قد ارتحلنى، فكرهت أن أعجله حتى يقضى حاجته» .

قال العراقى <sup>(٢)</sup> : رواه النسائى، ورواه الحاكم، وقال : صحيح على شرط الشيخين .

واقتردى الصحابة رضوان الله عليهم برسول الله ﷺ، فسارعوا إلى ممازحة ومداعبة أطفالهم، وكانوا ينزلون إلى منازلهم، ويتصابون لهم، ويلاعبونهم :

روى الديلمى وابن عساكر عن أبى سفيان قال : دخلت على معاوية، وهو مستلق على ظهره، وعلى صدره صبي أو صبية، تناغيه، فقلت : أمط عنك هذا يا أمير المؤمنين، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «من كان له صبي، فليتصاب له» <sup>(٣)</sup> .

وقال عمر <sup>(٤)</sup> : «ينبغى للرجل أن يكون في أهله كالصبي - أى فى الأنس

(١) إسناده ضعيف . انظر : جامع الأصول (٩١ / ٩) تحقيق الأرناؤوط .

(٢) الإحياء (٢١٨ / ٢) .

(٣) ضعيف . انظر الجامع، رقم (٥٨١٢) .

(٤) كنز العمال (١٦ / ٥٧٣) رواه ابن أبى الدنيا والدينورى وعبدالرزاق فى الجامع .

والبشر وسهولة الخلق والمداعبة مع أولاده - فإذا التمس ما عنده وجد رجلاً»

وتحقيقاً لذلك كان الصحابي زيد بن ثابت رضي الله عنه، وهو أعلم الأمة بالقرآن كان يتفكه في بيته مع أهله وأولاده . روى البخارى في الأدب المفرد عن ثابت بن عبيد قال : «ما رأيت أحداً أجلاً إذا جلس مع القوم، ولا أفكه في بيته، من زيد بن ثابت» . ورواه الحافظ في الإصابة . بلفظ «أقر» بدلاً من «أجل» ومعنى أفكه من الفكاهة : المازحة والانبساط .

فالأب بحاجة إلى التمييز بين المجالس، فمجالس الرجال لها أحاديثها ومجالس أولاده في البيت مع أهله لها أحاديثها، فالفصل بينهما عين الحكمة والسداد .  
بل إن مجالس الكبار تحتاج إلى فصل : بين أن تكون منبسطة فيها المزاح، وبين أن تكون جداً لا هزل فيها، فكل بحسبه :

روى البخارى في «الأدب المفرد» عن بكر بن عبد الله قال : كان أصحاب رسول الله ﷺ يتباضحون بالبطيخ، فإذا كانت الحقائق كانوا هم الرجال .

يتباضحون إن رسول الله ﷺ ليبارك في حى من الأحياء - حى كنانة - يتمتعون بالفكاهة والمزاح، لما في المزاح من نشاط نفسى وتنشيط للدورة الدموية، ودفع لاستقبال الحياة بوجه مشرق :

روى البخارى في «الأدب المفرد» عن ابن أبى مليكة قال : مزحت عائشة - رضى الله عنها - عند رسول الله ﷺ فقالت أمها : يا رسول الله، بعض دُعابات هذا الحى من كنانة ! قال النبى ﷺ : «بل بعض مزاحنا هذا الحى» . فالمزاح في البيت مطلوب أكثر من غيره من المجالس، لما يزيد في حيوية البيت ونشاطه النفسى .

حتى قال الصحابة رضوان الله عليهم ذات مرة للنبي ﷺ : يا رسول الله إنك تداعبنا ! قال : «إني لا أقول إلا حقاً» . رواه البخارى في «الأدب المفرد» والترمذى وأحمد .

وإن عمر رضي الله عنه ليعزل أحد عماله عن الرئاسة، لأنه وجد منه دليلاً واضحاً على قسوة قلبه، تجاه أولاده : فعن محمد بن سلام قال : استعمل عمر بن الخطاب رجلاً على عمل، فرأى الرجل عمر يقبل صبيّاً له، فقال الرجل : تقبله وأنت أمير المؤمنين؟! لو كنت أنا ما فعلته، قال عمر : فما ذنبي إن كان نزع من قلبك الرحمة! إن الله لا يرحم من عباده إلا الرحماء ونزعه عن عمله، فقال :  
«أنت لا ترحم ولدك، فكيف ترحم الناس؟!»<sup>(١)</sup>.

بهذه المداعبة والملاعبة والتصابي ومحاكاة الطفل، كان تعامل رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الأطفال، وهو يغذى نفوسهم بهذه العاطفة الصادقة الطيبة، بعيداً عن الجفاء والقسوة، وعدم إعطاء الطفل حقه .

### الأساس العاطفي الثالث : الهدايا والعطايا للأطفال :

للهدايا أثر طيب في النفس البشرية عامة، وفي نفوس الأطفال أكثر تأثيراً وأكبر وقعاً، وقد سن رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعدة للحب بين الناس، فنصح الأمة بقوله : «تهادوا تحابوا»<sup>(٢)</sup>. وهذا قانون عام .

والرسول صلى الله عليه وسلم بين لنا عملياً هذا الركن القوي في بناء عاطفة الطفل، وتحريكها، وتوجيهها، وتهذيبها :

أخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يؤتى بأول الثمر فيقول : «اللهم بارك لنا في مدينتنا، وفي ثمارنا، وفي مدنا، وفي صاعنا، بركة مع بركة» ثم يعطيه أصغر من يحضره من الولدان .

وروى الطبراني عن إسحاق بن يحيى بن طلحة، قال : كنت مع عمي عيسى

(١) كنز العمال (١٦/٥٨٣) . رواه الدينوري .

(٢) رواه الطبراني في الأوسط، والحري في الهدايا، والعسكري في الأمثال . انظر : المقاصد الحسنة، رقم الحديث (٣٥٢) .

ابن طلحة في المسجد، فدخل السائب بن يزيد، فبعثنى إليه فقال : اذهب إلى ذلك الشيخ، فقل له : يقول لك عمى عيسى بن طلحة : هل رأيت رسول الله ﷺ؟ فذهبت إليه، فقلت له : هل رأيت رسول الله ﷺ؟ فقال : نعم، رأيت رسول الله ﷺ؟ ودخلت عليه، أنا وغلمة معي، فوجدناه يأكل تمرًا في قناع، ومعه ناس من أصحابه، فقبض لنا من ذلك قبضة، ومسح على رؤوسنا .

وروى ابن أبي الدنيا عن الحسن أو جابر بن عبد الله قال : صليت مع رسول الله ﷺ الظهر أو العصر، فلما سلم قال لنا : «على أماكنكم» قال : جرة فيها حلوى، فجعل يأتي على رجل رجل فيلعبه لعقة لعقة، حتى أتى على - وأنا غلام - فألعبني لعقة، ثم قال : «أزيدك»؟ قلت : نعم، فألعبني لعقة، ثم قال : «أزيدك»؟ قلت : نعم، فألعبني أخرى لصغرى، فلم يزل كذلك حتى أتى على آخر القوم . حديث مرسل رجاله رجال الصحيح، قاله محققه، وقال : أخرجه أبو الشيخ في «أخلاق النبي ﷺ» (ص ٢٣٥) .

وروى أبو داود عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : قدمت هدايا من النجاشي، فيها خاتم من ذهب، فيه فص حبشي، فأخذه رسول الله ﷺ بعود، أو ببعض أصابعه، معرضاً عنه، ثم دعا أمانة بنت أبي العاص من بنته زينب، فقال : «تحلى بهذا يا بنية!» .

### الأساس العاطفي الرابع: مسح رأس الطفل :

لاحظت في الأحاديث السابقة، كيف أن النبي ﷺ كان يداعب عواطف الأطفال، بمسح رؤوسهم، فيشعرون بلذة الرحمة، والحنان، والحب، والعطف، الأمر الذي يشعر الطفل بوجوده، وحب الكبار له، واهتمامهم به، ففي زوائد ابن حبان عن أنس ؓ، قال : كان رسول الله ﷺ يزور الأنصار ويسلم على

صبيانهم، ويمسح رؤوسهم<sup>(١)</sup>.

عن مصعب بن عبد الله قال: عبد الله بن ثعلبة، ولد قبل الهجرة بأربع سنين، وحمل إلى رسول الله ﷺ فمسح وجهه، وبرك عليه عام الفتح، وتوفي رسول الله ﷺ وهو ابن أربع عشرة. رواه الحاكم في مستدركه (٣/٣٧٩).

وعن عبد الله بن جعفر<sup>(٢)</sup> قال: مسح رسول الله ﷺ بيده على رأسي، قال: أظنه قال ثلاثاً، فلما مسح قال: «اللهم اخلف جعفرأ في ولده». رواه الحاكم في مستدركه (١/٣٧٢) وسكت عنه.

ويضيف رسول الله ﷺ إلى مسح الرأس للطفل: القيام بمسح خدي الطفل، بيديه الشريفتين، وما ذلك إلا اهتماماً به، وإدخال السرور إلى قلب الطفل:

فقد روى مسلم عن جابر بن سمرة - وهو من أطفال الصحابة - قال: صليت مع رسول الله ﷺ صلاة الأولى، يعني صلاة الظهر، ثم خرج إلى أهله، وخرجت معه، فاستقبله ولدان - أي: صبيان - فجعل ﷺ يمسح خدي أحدهم، واحداً واحداً، قال جابر: وأما أنا، فمسح خدي، فوجدت ليده برداً أو ريحاً، كأنها أخرجها من جُونة عطار<sup>(٣)</sup>.

ومن هذا نستدل على مسح خدود الأطفال، إذا كانوا أكثر من واحد، وعدله في معاملتهم جميعاً، وعدم التفرقة بينهم، وهذا من بدائع ملاحظته ﷺ في تعامله مع الأطفال بالتسوية بينهم في كل شيء.

وغدا الصحابة - رضوان الله عليهم - يقتدون برسول الله ﷺ في مسح رؤوس الأطفال رجالاً ونساءً:

(١) صحيح. ورواه النسائي. انظر: صحيح الجامع، رقم (٤٩٤٧).

(٢) جُونة عطار - بضم الجيم وهمزة بعدها، وقد تخفف بإبدالها واواً: وهي سُلبلة مستديرة، مغشاة أدماء، كالسَّقَط، يجعل فيها العطار عطره.

روى ابن أبي الدنيا في كتاب العيال (١/ ٤١١) عدداً من الآثار منها: أن شيبه ابن نصاح بن يعقوب بن سرجس - مولى أم سلمة - أنه أتى به وهو صغير إلى أم سلمة زوج النبي ﷺ فمسحت رأسه، وبركت عليه .

وعن فاطمة بنت سعد قالت: ربما أجلسني أبو هريرة ؓ في حجره... فيمسح على رأسي، ويدعولي بالبركة .

وعن ربيعة بن كلثوم قال: رأيته سعيد بن جبير وأنا صغير فقبلني .

### الأساس العاطفي الخامس : حسن استقبال الطفل :

إن اللقاء مع الطفل لا بد منه، وأهم ما في اللقاء اللحظات الأولى، فإذا كان اللقاء طيباً، استطاع الطفل متابعة الحديث، وفتح الحوار، والتجاوب مع المتكلم، فيفتح قلبه له، وما يدور في خاطره، ويعرض مشاكله عليه، ويتحدث عن أمانيه له، كل هذا يحصل إذا أحسن استقبال الطفل، بفرح وحب ومداعبة وهذا ما وجه إليه ﷺ بفعله إلى الأمة :

روى ابن عساكر عن عبد الله بن جعفر ؓ قال : كان رسول الله ﷺ إذا قدم من سفر تلقى الصبيان من أهل بيته، وإنه جاء من سفر فسبق بى إليه، فحملنى بين يديه، ثم جىء بأحد ابني فاطمة الحسن أو الحسين - رضى الله عنهم - فأردفه خلفه، فدخلنا المدينة ثلاثة على دابة<sup>(١)</sup> .

### الأساس العاطفي السادس: تفقد حال الطفل والسؤال عنه :

كثيراً ما يمشى الطفل وحده، فيضل الطريق، ويتيه في الشارع، فإذا كان الوالدان مهتمين بحال الطفل تنبهاً سريعاً لشروده، وتمّ تتبع أثر الطفل، والعثور عليه أسرع ما يمكن، والعكس بالعكس، وهذه السرعة تلعب دوراً كبيراً في نفس

(١) صحيح . ورواه أحمد ومسلم وأبو داود . انظر: صحيح الجامع، رقم (٤٧٦٥) .

الطفل، فالتأخير عليه يزيد من مخاوفه وآلامه وبكائه، ويشتد عذابه النفسى كلما زادت فترة تأخر وصول أحد والديه إليه ؛ لهذا سارع رسول الله ﷺ وأمر أصحابه بمساعدته، والانتشار فى الطرقات حتى يتم العثور على الحسن والحسين .

روى الطبرانى عن سلمان ؓ قال : كنا حول رسول الله ﷺ فجاءت أم أيمن - رضى الله عنها - فقالت : يا رسول الله، لقد ضلّ الحسن والحسين - رضى الله عنهما - قال : وذلك وأد النهار - يقول : ارتفاع النهار - فقال النبى ﷺ : « قوموا فاطلبوا ابنى » وأخذ كل رجل وجهة، وأخذت نحو النبى ﷺ فلم يزل حتى أتى سفح جبل، وإذا الحسن والحسين رضى الله عنهما ملتق كل واحد منهما صاحبه . وإذا شجاع - أى : الحية الذكر، وقيل : الحية مطلقاً - قائم على ذنبه، يخرج من فيه شرر النار، فأسرع إليه رسول الله ﷺ فالتفت مخاطباً لرسول الله ﷺ ثم انساب - أى : جرى - فدخل فى بعض الأحجار، ثم أتاهما، فأفرق بينهما، ثم مسح وجوههما، وقال : « بأبى وأمى أنتما ! ما أكرمكما على الله »، ثم حمل أحدهما على عاتقه الأيمن، والآخر على عاتقه الأيسر، فقلت : طوبى لكما، نعم المطية مطيتكما، فقال رسول الله ﷺ : « ونعم الراكبان هما، وأبوهما خير منهما » .

فأنت تلاحظ الخوف الذى حصل للحسن والحسين، حيث التزق كل واحد بالآخر خائفاً من الشجاع، ومسارعة الرسول ﷺ لفك هذا الخوف، ثم التفريق بينهما، ثم مسح وجهيهما، ثم دعا لهما، ثم أكرمهما بحملهما على عاتقه، ثم مدحهما بقوله : « ونعم الراكبان هما »، وما ذلك إلا من شدة حرصه، واهتمامه بعاطفة الطفل من أجل أن تبقى سوية سليمة متوازنة .

وفى موقف آخر يتفقد الرسول ﷺ حال أبناء أحد الصحابة، فيسأل أباهم عنهم، ويطلب إحضارهم، لينالوا من بركاته ودعائه :

روى الطبرانى - بسند حسن - عن سعيد بن تميم قال : قال لى النبى ﷺ « أين



بنوك؟» قلت : ها هم أولاء، قال : «فأتنى بهم» قال : فأتيت أهلى، فألبستهم قمصاً بيضاء، ثم أتيتهم بهم، فقال : «اللهم، إنى أعيذهم بك، من الكفر والضلالة والفقر الذى يصيب بنى آدم» .

إن المجتمع الإسلامى متكافل يشد بعضه بعضاً، ويسأل بعضه عن بعض، ومن جملة ذلك السؤال عن أحوال الأطفال، فإن ذلك يدخل المسرة إلى قلوب الآباء، وينعش الأبناء بالفرحة والسرور بأن الكبار يسألون عنهم، مما يزيد من تفاعلهم العاطفى والنفسى والاجتماعى، كما نلاحظ عناية الأب باللباس أطفاله الثياب الجميلة حتى يزدادوا جمالاً فوق جمال، وحسناً فوق حسن، وتساعد فى ذلك الأم، وذلك للتحديث بنعمة الله، وإدخال الفرحة والبهجة إلى قلوب الأطفال، ثم دعاء الكبار للأطفال فى كل لقاء يرونهم، وفى كل مجلس يجالسونهم، وفى كل مشاهدة فالدعاء للأطفال المسلمين مهمة كل مسلم .

### الأساس العاطفى السابع : الرعاية الخاصة بالبنت واليتيم :

هذان النموذجان من الأطفال أشد حاجة من غيرهما إلى البناء العاطفى من رحمة ورأفة ورعاية؛ وذلك لما يتمتعان به من شعور بالضعف، وفقدان عناصر القوة؛ ولأنهما عند الناس أقل شأنًا من غيرهما، وقد هضمت المجتمعات الجاهلية حقوقهما قديماً وحديثاً . وحيثما ابتعدت أمة من الأمم، أو مجتمع من المجتمعات، أو أسرة من الأسر عن منهج الله وشريعته، تطبيقاً وعملاً، كان الظلم والحيف لهذين الضعيفين البنت واليتيم ... والجاهلية هى الجاهلية تتكرر بمحاورها، وتبديل بأثوابها، أما القديمة فقد رفعت لواء الظلم لهما جهاراً نهاراً، وأشهرته على الملأ جميعاً بلا حياء، ولا خجل، ولا مروءة، ولا شهامة .

وأما الحديثة فقد زينت ظلمهما ببعض المواد الدستورية المهترئة، وفتحت لهما باب الحرية فى التمتع بالرديلة أيّاً كان نوعها، ودرجتها فى الفجور .

وهكذا ضاع هذان الصنفان الضعيفان في مثل هذه المجتمعات والأسر، وبقي الإسلام وحده في الميدان المنقذ الوحيد لهما، يدافع عنهما، ويهاجم كل من يشير إليهما بأى ظلم أو حيف، حتى إذا ما وقع نوع من الظلم هدد، وتوعد، واستنهض النفوس المؤمنة، واستجاشها، فأبكاهما حتى يرتفع الظلم، ويحق العدل، ويكبو الحيف، وترتفع المساواة، ويزهق الباطل، ويثبت الحق .

وما هذا الحشد الهائل من الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية بشأن هذين الطفلين الضعيفين، والذي سيأتى ذكره الآن، إلا دليلاً على ما ذكرناه، وبياناً شافياً على ما قدمناه؛ لأن الله تعالى خالق البشرية عالم بظلمها عندما لا تتقيد بشرعه، وأن القوى فيها يأكل الضعيف .

لهذا جاء التنبيه النبوى بشأن هذين الضعيفين قوله ﷺ: «إني أخرجُ عليكم حق الضعيفين: اليتيم والمرأة»<sup>(١)</sup>. رواه الحاكم والبيهقي في «الشعب» عن أبى هريرة، ورواه ابن ماجه، والإمام أحمد، وابن حبان في صحيحه .

وبقى أن نسأل : ما هى القواعد، والضوابط التى نحن مخاطبون بتطبيقها لإنصاف هذين الضعيفين؟  
أولاً : رعاية تربية البنت<sup>(٢)</sup> :

«أهم الوسائل فى إصلاح المنزل : ترقية تعليم المرأة عندنا، وتزويدها فى

(١) حسن . انظر : صحيح الجامع رقم (٢٤٤٧) . ورواه ابن أبى الدنيا فى كتاب العيال (٢/٦٦٨) بلفظ: «اللهم إني أخرج...» .

(٢) فى لغة العرب : ما دامت المرأة صغيرة فهى طفلة، فإذا تحركت فهى وليدة، فإذا بدأ بلوغها فهى كاعب، فإذا بلغت فهى ناهد، فإذا كبرت فهى مُعصر، ثم آنس، فإذا ارتفعت عن هذا فهى ناعس، فإذا جاوزت الأربعين فهى مُسلف، فإذا كانت بين الشباب والتعجيز فهى نصف، فإذا مسها الكبر فهى كهلة، ثم شهلة، فإذا عجزت فهى شهيرة فإذا ضعفت فهى حيزبون، فإذا انحنى عودها وتكسرت أسنانها فهى قلعم، ثم لطلط . عن مجلة (المسلم) المصرية، العدد الأول، المحرم للسنة الثانية والأربعين ١٤١٨ هـ .

المدارس بالقدر الوافر من الدين، والخلق، وإفساح المجال في مناهج دراسة البنات للبحوث البيتية، وتراجع فضليات النساء اللاتي كن مضرب المثل في الخلق الفاضل منهن، كنسبية بنت كعب، وأسما بنت أبي بكر، وصفية بنت عبد المطلب، وخولة بنت الأزور، وسكينة بنت الحسين، وغيرهن كثير، ولأن :

الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعباً طيب الأعراق

أما أن تستمر مناهج البنات عندنا كما هي عليه الآن فتعنى بالكمال والنضار، وترك الضروري والنافع؛ فهذا مما لا يبشر بحياة طيبة للنشء الإسلامي.

تدرس البنات في مدارسنا الموسيقى، واللغة الأجنبية، والهندسة الفراغية، والقانون الآن، ثم هي لا تعلم شيئاً عن تربية الأطفال، ولا تدبير الصحة، ولا علم النفس، ولا الدين، والخلق، ولا تدبير المنزل، فأى منهج هذا؟ وإلى أى غاية يوصل؟!!

من لى بتربية البنات فإنها فى الشرق علّة ذلك الإخفاق

والأم إذا صلحت فانتظر من ابنها أن يكون رجلاً بكل معنى الكلمة، وأنت إذا استقرأت تاريخ العلماء، وجدت أن السر في عظمة الكثيرين منهم ما بثته الأم من المبادئ الصالحة القويمة بحكم اللبان والتلقين، وما كان على بن أبى طالب - كرم الله وجهه - في حبه للحق، وغيرته عليه، ومناصرته للرسول ﷺ ولا معاوية في حلمه ودهائه، ولا عبد الله بن الزبير في شجاعته، ولا الزبير نفسه في ذلك، إلا سرّاً من أسرار فاطمة بنت أسد، وصفية بنت عبد المطلب، وأسما بنت أبى بكر، وهند بنت عتبة .

ولئن كان الولد سرّاً أبه، فكل إناء بالذى فيه ينضح، وحرى بمن كان يسمع في مهده لأول عهده بالحياة ترنيمة أمه وهى تحثه على الشجاعة، والأخلاق الفاضلة، أن يكون سيداً تتفجر الحكمة من جنبه، وتنطوى السيادة في برديه، كما كان عبد الله

ابن العباس بتأثير أمه : أم الفضل بنت الحارث الهلالية .

وحرى بمن تطرق سمعه لأول مرة تلك الأغاني الخليعة، والترنيمات الغثة؛  
التي يداعب بها أمهات هذا العصر أبناءهن أن ينشأ ماجناً خليعاً، فاطر الهمة،  
ضعيف النفس .

الأم أستاذة العالم، والمرأة التي تهز المهدي بيمينها تهز العالم بشمالها، فلأجل أن  
نصلح المنزل، يجب أن نصلح الأم التي هي روحه وقوامه<sup>(١)</sup> .

وبعد هذا التمهيد بقى أن نعلم ما هي القواعد الأساسية في تربية البنت؟ هناك  
ثلاث قواعد :

### القاعدة الأولى : النهي عن كراهة البنت :

صحح القرآن أولاً النظرة، والتصور عن البنات، والتي كانت ذائعة الصيت في  
المجتمعات الجاهلية، فوجه العقول إلى تصحيح النظرة لها، وتعديل التصور عنها، وأنها  
مخلوقة، خلقها الله تعالى مكملّة للرجل في حياته، فلها حقوقها، وعليها واجباتها .

وبتصحيح التصور هيأ النفس البشرية من بداية الطريق إلى معاملتها بالحسنى،  
والقيام بالواجب نحوها، ولهذا جاءت الآية تصور الرؤوس العفنة، والنفوس  
المريضة لتعالجها، الأمر الذي أدى إلى انقلاب جديد في الحياة البشرية النسائية،  
وبداية عصر النور لها . ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١﴾  
يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَبِهِ ۚ أَيَسْكَبُ عَلَىٰ هُونٍ ۖ أَمْرِيْدُسُهُ فِي التُّرَابِ ۚ أَلَا  
سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢﴾﴾ [النحل] .

ثم هز النفس البشرية وسألها، وسأل ضميرها، لتستيقظ من جهلها : ﴿وَإِذَا  
الْمَوْتُ دَدَ سِيلَتْ ﴿٣﴾ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴿٤﴾﴾ [التكوير] .

(١) رسالة : أنجع الوسائل .

وأما رسول الله ﷺ فقال : «إن الله كره لكم ثلاثا : عقوق الأمهات، ووأد البنات، ومنع وهات»<sup>(١)</sup>.

وروى البخارى<sup>(٢)</sup> عن ابن عمر: أن رجلا كان عنده بنات، فتمنى موتهن، فغضب ابن عمر، فقال : أنت ترزقهن؟! وهذا خطاب نبوى إلى الوالدين فى صحيح التصور عن البنات، وعدم الكراهية لهن، والمؤانسة لهن: روى الإمام أحمد، والطبرانى عن عقبة بن عامر قال : قال رسول الله ﷺ : «لا تكرهوا البنات، فإنهن المؤنسات الغاليات»<sup>(٣)</sup>.

ولابد أن نعلم أن النساء هم أكثر الناس فى الجنة، وأكثر الناس فى النار، حيث ورد فى الصحيح :

عن أبى هريرة ؓ قال : قال رسول الله ﷺ : «أول زمرة تلج الجنة صورهم على صورة القمر ليلة البدر، لا يبصقون فيها، ولا يتمخطون فيها، ولا يتغوطون فيها، أنيتهم وأمشاطهم الذهب والفضة، ومجامرهم من ألوة، ورشحهم المسك، ولكل واحد منهم زوجتان، يرى مخ ساقهما من وراء اللحم من الحسن، لا اختلاف بينهم، ولا تباغض، قلوبهم على قلب واحد، ويسبحون الله بكرة وعشية». متفق عليه، رواه الترمذى .

وقد ورد فى الصحيح : «يامعشر النساء، اتقوا الله فإنى رأيتكن أكثر أهل النار، تكثرن الشكاة، وتكفرن العشير» .

قال الزين العراقى فى طرح التثريب فى شرح التقريب (٢٧٠ / ٨) : «والجمع بينهما أنهن أكثر أهل الجنة، وأكثر أهل النار لكثرتن، قال القاضى عياض - رحمه

(١) رواه الطبرانى، ورجاله رجال الصحيح عن معقل بن يسار، قاله الهيثمى فى المجمع (١٤٧ / ٨).

(٢) الأدب المفرد (١٥٨ / ١).

(٣) قال الهيثمى فى المجمع (١٥٦ / ٨) : وفيه ابن لهيعة، وحديثه حسن، وبقية رجاله ثقات .

الله: يخرج من مجموع هذا أن النساء أكثر ولد آدم، قال: وهذا كله في الآدميات، وإلا فقد جاء أن للواحد من أهل الجنة من الحور العدد الكثير قلت (أى الزين العراقى): وقد تقدم من عند الزبيدى من حديث أبى سعيد: «إن أدنى أهل الجنة، الذى له اثنتان وسبعون زوجة» ا. هـ .

وبهذا يتم تصحيح كثير من أفكار الناس بالاكْتفاء بالحديث النبوى: «إنكن أكثر أهل النار» والتشاؤم من جنس النساء، أو التصور أنهن وراء كل شر «مثل الرومان» أو فتش عن وراء كل جريمة تجد امرأة!!

وأما العرب فتقول عن المرأة: فى المرأة عمق البحر، واضطراب الأمواج، وحرارة الشمس، وقطر الندى، وتقلب الرياح، ولون الأزهار، وطعم العسل، ووهج الذهب، ونفرة الغزال، وخيلاء الطاووس، ومكر الثعلب، ولغو الببغاء .

فسبحان من جعلها لغز الحياة، وأودعها من الأسرار ما لا يعرفه سواه<sup>(١)</sup>.

إن القرآن والسنة النبوية صححا مفهوم المرأة للناس كافة، وأنها مخلوقة خلقها الله - تعالى - لها واجبات وعليها حقوق، وأنها ليست السبب فى خروج آدم من الجنة بدليل: ﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا ﴾ [البقرة] فأكلا من الشجرة ﴿ فَوَسَّسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ ﴾ [الأعراف] ﴿ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴾ [الأعراف] فالآيات كلها تدل على اشتراكهما سويا، وأن الشيطان وسوس لهما، وأزلهما، وأقسم عليهما، كلاهما معا .

وبذلك نفى القرآن - ما تدعيه النصارى - من كون حواء سبباً فى خروج من الجنة.

لقد تولى الله تعالى فى كتابه (القرآن)، والنبى ﷺ فى (سنته) تصحيح المفهوم عن المرأة، وما زال المؤمنون يخوضون معركة التصحيح مع الجاهلية الحديثة (جاهلية

(١) مجلة (المسلم) المصرية، العدد الأول للسنة الثانية والأربعين ١٤١٨ هـ .

التشريع) في تثبيت أركان الفضيلة، ومحاربة الفاحشة وأسبابها، والتي تريد أن تستغل وضع المرأة، ومفهوم النصارى عن المرأة حتى تبقى ذليلة مهينة في يد الرجل الغربى، مهما تنوعت الأسماء والشعارات البراقة نحو: حرية المرأة، ومكانة المرأة، ومساواة المرأة بالرجل، فكل هذه الشعارات، إنما تستخدمها عقول الرجال العفنة في استدراج المرأة، لتصبح سلعة طيعة بأيديهم .

وأما الرجل والمرأة المسلمان، فكل منهما يقف ممتثلاً لقول الله تعالى : ﴿يَتَّخِذُ النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَنَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ۝﴾ [الحجرات] .

وبذلك كان الإسلام - ولا يزال إلى قيام الساعة - هو المحرر الأول والوحيد للرجل والمرأة على السواء، من كل خرافات الجاهلية، وأوهام الشياطين .

وفي ختام هذه القاعدة نعيش مع تحليلات ابن القيم - رحمه الله - ليقدم لنا التفسير، والشرح، والبيان عن قوله تعالى : ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ يَهْبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنْتًا وَيَهْبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ ۝﴾ أَوْ يَزُوْجُهُمْ ذُكْرًا وَإِنْتًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيْمًا ۚ إِنَّهُ عَلِيْمٌ قَدِيْرٌ ۝﴾ [الشورى] .

قال - رحمه الله <sup>(١)</sup> : فقسم الله سبحانه حال الزوجين إلى أربعة أقسام، اشتمل عليها الوجود، وأخبر أن ما قدره بينهما من الولد، فقد وهبها إياه، وكفى بالعبد تعرضاً لمقتته أن يتسخط ما وهبه . وبدأ سبحانه بذكر الإناث، فقليل : جبرا لهن لأجل استئصال الوالدين لمكانهن .

وقيل - وهو أحسن : إنما قدمهن لأن سياق الكلام أنه فاعل ما يشاء لا ما يشاء الأبوان، فإن الأبوين لا يريدان إلا الذكور غالباً، وهو سبحانه قد أخبر أنه يخلق ما

(١) أحكام المولود (ص ٢٠) .

يشاء، فبدأ بذكر الصنف الذى يشاء، ولا يريد الأبوان .

وعندى وجه آخر - والكلام لابن القيم : وهو أنه سبحانه قدم ما كانت تؤخره الجاهلية من أمر البنات حتى كانوا يئدونهن، أى : هذا النوع المؤخر عندكم مقدم عندى فى الذكر، وتأمل كيف نكر الله سبحانه الإناث، وعرف الذكور، فجبر نقص الأنوثة بالتقديم، وجبر نقص التأخير بالتعريف، فإن التعريف تنويه .

كأنه قال : ويهب لمن يشاء الفرسان الأعلام المذكورين الذين لا يخفون عليكم، ثم لما ذكر الضعيفين معاً، قدم الذكور، إعطاء لكل من الجنسين حقه من التقديم والتأخير، والله أعلم بما أراد من ذلك.

ويتابع ابن القيم قوله : وقد قال الله - تعالى - فى حق النساء : ﴿ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَجَعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ۝ ﴾ [النساء] . وهكذا البنات قد يكون للعبد فيهن خير فى الدنيا والآخرة، ويكفى فى قبح كراهتهن أن يكره ما رضىه الله، وأعطاه عبده .

وقال صالح بن أحمد : كان أبى، إذا ولد له ابنة يقول : الأنبياء كانوا آباء بنات، ويقول : قد جاء فى البنات ما قد علمت .

وقال يعقوب بن بختان : ولد لى سبع بنات، فكنت كلما ولد لى ابنة، دخلت على أحمد بن حنبل، فيقول لى : يا أبا يوسف ! الأنبياء آباء بنات، فكان يذهب قوله همى .

قال الفاكهاني معلقاً على حديث حمل الرسول ﷺ لبنت بنته - أمامة بنت زينب - فى الصلاة :

« وكان السر فى حمله أمامة فى الصلاة، دفعاً لما كانت العرب تألفه من كراهة البنات ! وحملهن، فخالههم فى ذلك حتى فى الصلاة، للمبالغة فى ردعهن، والبيان فى



الفعل، قد يكون أقوى من القول . اهـ»<sup>(١)</sup>.

فإذا القاعدة الأولى تتلخص : في إزالة التصور الفاسد عن البنات، وعدم الكراهية لهن، وإحلال الحب لما أحبه الله تعالى، ووهبه للوالدين، وأن الخير فيما يختاره الله للعبد، لا فيما يختاره العبد لنفسه .  
وصدق الشاعر إذ يقول :

أحب البنات، وحب البنات فرض على كل نفس كريمه  
فإن (شعيباً) لأجل البنات أخدمه الله موسى كلمه<sup>(٢)</sup>

**القاعدة الثانية : المساواة بين الذكر والأنثى، وعدم المفاضلة بينهما :**

حتى إذا رزق الله الوالدين أبناءً من الذكور والإناث، جاء التصور الإسلامي يعلمها طريقة التعامل معهما، وذلك بالمساواة بينهما، حتى جعله الرسول ﷺ أحد أسباب الدخول إلى الجنة، وذلك في عدم إثارة الصبي على البنت ... وإنما هم في الحب سواء، وفي العطاء سواء، وفي تقديم الهدايا والمال سواء، وفي الثقيف وطلب العلم سواء، وفي المعاملة سواء، حتى في القبلة سواء بسواء .

روى أبو داود عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «من كانت له أنثى، فلم يئدها، ولم يهنها، ولم يؤثر ولده - يعني : الذكور عليها - أدخله الله الجنة» .

وروى البزار عن أنس رضي الله عنه أن رجلاً كان عند النبي ﷺ فجاء ابن له فقبله، وأجلسه على فخذه، وجاءت بنت له فأجلسها بين يديه، فقال رسول الله ﷺ : «ألا سويت بينهما»<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر : فتح الباري للحافظ ابن حجر (١/ ٤٦٩) .

(٢) مجلة (المسلم) المصرية، العدد الأول للسنة الثانية والأربعين، المحرم ١٤١٨ هـ .

(٣) قال الهيثمي في المجمع (٨/ ١٥٦) : رواه البزار، فقال : حدثنا بعض أصحابنا، ولم يسمه، وبقيّة رجاله ثقات .

بهذه الدقة النبوية في التعامل مع الصبي والبنت، مما لا تعرفه جميع المجتمعات البشرية، ولا تعلمه الكتب الغربية في تربية الأطفال، ولا يخطر على عقول من يسمون أنفسهم: علماء النفس التربويين.

**القاعدة الثالثة : أجر التربية، والإحسان، والصبر على البنات، وتزويجهن :**

لم تقف الشريعة في مواجهة النفس البشرية لتعاكسها، وإنما لتهدبها، ففي مقابل تربية البنات كان الأجر الكبير، وفي مقابل الصبر عليهن الثواب العظيم، وذلك ليسكن من ألم الوالدين، ويطيب من خاطرهما، ويشعرهما بأهمية عملهما، ودورهما في هذه الرعاية، والعناية بهن .

فقد روى مسلم عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «من عال - أى : قام عليهما في المؤونة والتربية - جاريتين - أى : بنتين - حتى تبلغا، جاء يوم القيامة أنا وهو كهاتين» وضم أصابعه .

روى البخارى ومسلم والترمذى عن عائشة - رضى الله عنها - قالت : دخلت على امرأة ومعها ابنتان لها، تسأل، فلم تجد عندي شيئا غير تمر واحدة، فأعطيتها إياها، فقسمتها بين ابنتيها، ولم تأكل منها، ثم قامت، فخرجت، فدخل النبي ﷺ علينا، فأخبرته، فقال : «من ابتلى من هذه البنات بشيء، فأحسن إليهن كن له سترا من النار» .

وفي رواية لمسلم قال : «إن الله قد أوجب لها الجنة، أو أعتقها بها من النار» .

وروى أبو داود والترمذى عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «من كان له ثلاث بنات، أو ثلاث أخوات، أو ابنتان، أو أختان، فأحسن صحبتهن، واتقى الله فيهن، فله الجنة» .

وفي رواية أبى داود قال : «من عال ثلاث بنات أو ثلاث أخوات، أو أختين أو

بتين، فأدبهن، وأحسن إليهن، وزوجهن، فله الجنة» .

وفي رواية : «من كان له ثلاث بنات أو أخوات، أو بنتان أو أختان، فأحسن صحبتهن، وصبر عليهن، واتقى الله فيهن، دخل الجنة» .

روى الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «من كان له ثلاث بنات، فصبر على لأوائهن، وعلى ضرائهن دخل الجنة» . وفي رواية : فقال رجل : يارسول الله، واثنيتين؟ قال : «واثنتين» قال : يارسول الله، وواحدة؟ قال : «وواحدة» .

وروى الإمام أحمد عن عقبة بن عامر الجهني يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «من كانت له ثلاث بنات، فصبر عليهن، فأطعمهن، وسقاهن، وكساهن من جدته، كن له حجابا من النار يوم القيامة» <sup>(١)</sup> .

ولا بأس من تزيين البنت بالحلي؛ ليرغب فيها خطابها، ولتقع في أعين النساء موقعا حسنا :

فقد روى ابن أبي الدنيا - بإسناد رجاله رجال الصحيح - في كتاب العيال (٣٩٥ / ١) أن رسول الله ﷺ قال لأسامة بن زيد عندما مرض : «لو كنت جارية لحليناك حتى يرغب فيك» .

وقد تقدم أهمية دور تربية البنت لأنها أم المستقبل، ومؤسسة المجتمع في الغد القريب، وصانعة الأبطال، ومهزة التاريخ في القريب العاجل، فهل لك أن تساهم بإصلاح المجتمع؟ إنه تربية ابنتك وأختك .

**القاعدة الرابعة : تعليم البنت صنعة المغزل، أو أى صنعة بيتية :**

إن تعليم البنت الأمور المنزلية في بيتها، يساهم في بناء اقتصاد المنزل، وبالتالي

(١) صحيح . انظر : صحيح الجامع رقم (٦٤٨٨) ورواه ابن ماجه .

بناء اقتصاد المجتمع والدولة، فالترشيد في الإنفاق يبدأ من المنزل، ومن أوليات الترشيد هو العلم والمعرفة بما يخص البيت من أمور وأعمال، فالرجل الذي يكدر ويتعب وتهدر زوجته ما يأتي به، إنها تهدر اقتصاد الدولة، وبالتالي لابد من إنشاء وتكوين الفكر الاقتصادي لدى البنت أم المستقبل .

ومن أساليب ذلك : أن تتعود بذل الجهد بأجر في عمل مثمر داخل بيتها، فتشغل فراغها بشيء نافع، وتبتعد عن خواطر ووساوس الشيطان الناتج من الفراغ، ومهما كان الأب غنياً، والأسرة غنية، لابد من إنشاء وتكوين بناتهن، وإشغال وقتهن بعمل مثمر مفيد على الأسرة، فالغنى لا يدوم، والمهارات الفنية العملية تبقى، ومن تلك المهارات تعلم البنت لصناعة المغزل، والذي كان - وما يزال في كثير من البلاد - عائداً جيداً بالنفع للأسرة . ويقاس عليه : كل عمل مثمر مفيد تتعلمه البنت بهدف تكوين أسرة المستقبل، تكويناً محكماً اقتصادياً تنفع به أسرته، وإنها هو مطلب إسلامي .

فعن عمرو بن شرحبيل في تفسير قوله تعالى : ﴿ يَتَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوْا مِنَ الطَّيِّبَاتِ ﴾ [المؤمنون] قال : كان عيسى يأكل من غزل أمه .

وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت : المغزل في يد المرأة، مثل الرمح في يد الغازي .

وعن علي - كرم الله وجهه - قال : إن المغزل من طيبات الرزق .

وعن عمر رضي الله عنه قال : علموا أولادكم العوم (أى : السباحة) والرماية، ونعم هو المرأة : المغزل .

وعن مجاهد - رفعه للنبي صلى الله عليه وسلم - قال : «نعم هو المرأة المغزل» وسند رجاله رجال الصحيح ما عدا حسين بن زيد فهو لين<sup>(١)</sup> .

(١) انظر : كتاب العيال (٢/ ٥٨٢) .

إن الإسلام بمفهومه العام يكره البطالة للكبير والصغير، والرجل والمرأة، والذكر والأنثى، ويحض على العمل المثمر، وإشغال الوقت بما ينفع الفرد والأسرة والمجتمع. ولكن ضمن نظام الشريعة، وقانون الكتاب والسنة، لا وفق مبادئ أهل الأرض التي لا تعرف الفضيلة وأسبابها، والتي لا يهتمها تحطيم الأسرة والفرد والمجتمع، وإنما يهتمها الإنتاج بأية طريقة كانت .

### ثانيا : تربية اليتيم واليتيمة :

يعرف النبي ﷺ مرحلة اليتيم بأنها دون سن الاحتلام، فإذا حصل الاحتلام، فعند ذلك انتفت عن الطفل صفة اليتيم .

روى أبو حنيفة في مسنده عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يتم بعد حلم »<sup>(١)</sup>.

وروى أبو داود عن علي رضي الله عنه قال : حفظت عن رسول الله ﷺ : « لا يتم بعد احتلام »<sup>(٢)</sup>.

يقول الشيخ محمود شلتوت - رحمه الله - شيخ الأزهر سابقا :

«واليتيم طفل من بين الأطفال فقد أباه، والعائل الذي يرعاه، فقد القلب الذي يحنو عليه، والروح الذي كان يحوطه ويرعاه، فتقوى أعصابه، وتنمو جوارحه، وينشرح صدره، وتبتسم له الحياة، فقد بموت أبيه كل ذلك، وأسلمته المقادير إلى الكآبة وتشتت البال والحرمان، فما أحوجه إلى عناية من الرؤوف الرحيم، تنتشله من تلك الوهدة، وتجعل له متنفسا يسرى به عن نفسه، ما أحوجه إلى تشريع حكيم ووصية كريمة من رب رحيم تحفظ عليه نفسه، وتحفظ له ماله، وتعدّه رجلا عاملا في الحياة، ليس كلاً على غيره، ولا عبثاً على أمته، ولا عنصر شر ينفث سموه في

(١) انظر : عقود الجواهر المنيفة للزبيدي (٢/ ٩٤) .

(٢) الحديث حسن بشواهده . قاله الأرناؤوط في جامع الأصول (١١/ ٦٤٢) .

أمثاله الأطفال»<sup>(١)</sup>.

«لهذا كله عني الإسلام كتابا وسنة بأمر اليتيم، والحث على تربيته، والمحافظة على نفسه وماله، وقد ظهرت عناية القرآن الكريم بشأن اليتيم منذ أن نزل إلى أن أكمل الله دينه، وأتم على المؤمنين تشريعه... إذ جعل الله ازدراء اليتيم وإهمال أمره، آية من آيات التكذيب بيوم الدين: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْأَيْمَانِ ۖ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ۖ﴾ [الماعون] وإذ يجعل الوصية به، إحدى الوصايا العشر التي لم تنسخ في ملة من الملل، وينظمها مع الإيثار بالله في سلك واحد: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ﴾ [الأنعام: ١٥١]. إلى أن يقول: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ۖ﴾ [الأنعام: ١٥٢].

وتتلخص تربية اليتيم في ثلاث قواعد:

**القاعدة الأولى: أجر رعاية اليتيم، وتربيته، ومراضاته:**

سنعيش مع طائفة من الأحاديث النبوية التي تستجيش النفوس، وتدعوها إلى الاهتمام برعاية اليتيم، الذي فقد أباه قبل سن الاحتلام، وذلك لقوله ﷺ فيما رواه أبو داود: «لا يتم بعد الاحتلام»، فهذا يستحق القيام برعايته، لأنه فقد أحد الأركان الأساسية للتلقى التربوي.

فقد أخرج البخاري عن سهل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا وكافل - القائم بأمور - اليتيم في الجنة هكذا» أشار بالسبابة والوسطى، وفرج بينهما<sup>(٢)</sup>.

وروى البيهقي عن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أحب بيوتكم إلى الله بيت فيه يتيم مكرم»<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر كتاب: من توجيهات الإسلام للإمام الأكبر محمود شلتوت (ص ١٦٠) طبع دار الشروق.

(٢) صحيح ورواه أحمد وأبو داود والترمذي.

(٣) ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب العيال (٢/ ٨٠٩) بلفظ: «يكرم».

وروى ابن ماجه عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه، وشر بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه، أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين يشير بإصبعيه» .

ويضع ﷺ قاعدة إلى قساة القلوب، والتي لم تعد تشعر بنعمة الله عليها دواء، وعلاجاً نافعاً، يهزها هزاً .

روى الطبراني عن أبى الدرداء رضي الله عنه أنه أتى النبي ﷺ رجل يشكو إليه قسوة قلبه، فقال له: «أحب أن يلين قلبك، وتذكر حاجتك؟! ارحم اليتيم، وامسح رأسه، وأطعمه يلين قلبك، وتذكر حاجتك»<sup>(١)</sup>.

وإن رسول الله ﷺ ليواسي الأطفال الذين استشهد آبائهم، فأصبحوا أيتاماً:

فغن أسماء بنت عميس قالت: لما أصيب جعفر وأصحابه، دخلت على رسول الله ﷺ، وقد دبغت أربعين منيئة، وعجنت عجنتين، وغسلت بنى، ودهنتهم، ونظفتهم، فقال رسول الله ﷺ: «اثني بني جعفر» قالت: فأتيتهم بهم، فشمهم، وذرفت عيناه، فقلت: يا رسول الله، بأبي أنت وأمي، ما يبكيك؟ أبلغك عن جعفر وأصحابه شيء، قال: «نعم أصيبوا هذا اليوم» . رواه أحمد (٣٧٠ / ٦) .

ومن ذلك أيضاً ما رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (١٠٣ / ١٢) عن عامر قال: أخبرني أن النبي ﷺ أرسل إلى امرأة جعفر (أى بعد استشهاده في مؤتة) «أن ابعتني إلى بني جعفر» قال: فأتيتهم بهم، فقال ﷺ: «اللهم إن جعفرًا قد قدم إليك إلى أحسن الثواب، فاخلفه في ذريته بخير ما خلفت عبداً من عبادك الصالحين» .

وروى البخاري عن ابن عمر - رضي الله عنهما - أنه كان إذا سلم على ابن جعفر قال: السلام عليك يا بن ذى الجناحين .

(١) صحيح، انظر: صحيح الجامع، رقم (٨٠) .

حيث إن رسول الله ﷺ أخبر عن جعفر بعد استشهاده في غزوة مؤتة أنه يطير في الجنة بجناحين، فكان ابن عمر - رضى الله عنهما - يستقبل الطفل اليتيم بذلك النداء، لإظهار مكانة والده ومكانة الابن في نفوس الكبار، فلا يشعر اليتيم بالغربة عن المجتمع، ولا يجتمع الحقد والكيد والانتقام في نفسه، وإنما ليحس ويشعر بتقدير المجتمع له ولوالده، مما يجعل نفسه راضية بقضاء الله - تعالى، بوفاة والده .

وأما ملاطفة اليتيم والمسارة إلى إرضائه، وأن في ذلك الأجر الكبير في الجنة وخاصة عندما تقوم شبهة حق في صالحه فإليك التوجيه النبوي :

روى مسلم عن جابر بن سمرة قال: صلى رسول الله ﷺ على ابن الدحداح، ثم أتى بفرس عرى، فعقله رجل، فركبه فجعل يترقص به، ونحن نتبعه، نسعى خلفه، قال: فقال رجل من القوم: إن النبي ﷺ قال: «كم من عذق معلق أو مدلى في الجنة لابن الدحداح» أو قال شعبة: «لأبى الدحداح» قال النووي في شرح صحيح مسلم (٣٣/٧): «قالوا: سببه أن يتيما خاصم أبا لبابة في نخلة، فبكى الغلام، فقال النبي ﷺ له: «أعطه إياها، ولك بها عذق في الجنة» فقال: لا، فسمع بذلك أبو الدحداح، فاشتراها من أبى لبابة بحديقة له، ثم قال للنبي ﷺ: ألى بها عذق إن أعطيتها اليتيم؟ قال: «نعم» فقال النبي ﷺ: «كم من عذق معلق في الجنة لأبى الدحداح» .

وروى ابن أبى الدنيا في كتاب العيال (٨٠٦/٢) عن أبى مالك أنه سمع النبي ﷺ يقول: «من ضم يتيما من بنى المسلمين إلى طعامه وشرابه حتى يستغنى عنه، وجبت له الجنة البتة» .

قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٦١/٨): رواه أبو يعلى والسياق له، وأحمد باختصار والطبرانى، وهو حسن الإسناد<sup>(١)</sup> .

(١) انظر: تحقيق الحديث لمحقق كتاب العيال الدكتور نجم عبد الرحمن خلف .



وعن أبي أسامة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «من مسح على رأس يتيم لم يمسه إلا الله - عز وجل - كانت له بكل شعرة مرت عليها يده حسنات، ومن أحسن إلى يتيم عنده كنت أنا وهو في الجنة كهاتين» وقرن بين أصبعيه . رواه ابن أبي الدنيا بسند ضعيف، لكن له متابع من أحمد في المسند والطبراني في المعجم الكبير<sup>(١)</sup>.

وعن إسماعيل بن أمية قال : سمعت أبي، عن النبي ﷺ : «إن الساعى على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله، القائم ليله، الصائم نهاره، وكافل اليتيم له أو لغيره، إذا اتقى، فأنا وهو في الجنة كهاتين، أو كهذه من هذه» وأشار إلى السبابة والوسطى. رواه ابن أبي الدنيا بإسناد حسن، وهو مرسل<sup>(٢)</sup>.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : «من ضم يتيما من بين أبوين مسلمين إلى طعامه وشرابه حتى يغنيه الله - عز وجل - أوجب الله له الجنة، إلا أن يعمل بذنب لا يغفر». رواه ابن أبي الدنيا بسند ضعيف، ورواه الترمذي<sup>(٣)</sup>.

وعن بريدة الأسلمي قال: قال رسول الله ﷺ : «من مسح رأس يتيم رحمة له، وتحننا عليه كتب الله تبارك وتعالى بكل شعرة وقفت عليها يده حسنة». رواه ابن أبي الدنيا بسند ضعيف<sup>(٤)</sup>.

### القاعدة الثانية : حفظ مال اليتيم والتجارة بهاله :

عنى القرآن بتنظيم الشؤون المالية في المجتمع المسلم : ﴿ وَأَحْلَ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾ [البقرة] وأقام أساسا قويا للبيع وهو التراضي، فكل ما يفضي إلى الجهالة والمنازعة فهو غير مشروع : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ ﴾ [النساء] .

فالتراضي أساس التعاملات المالية، ومن بين تلك الشؤون المالية الهامة في حياة

(١-٤) تحقيق الحديث لمحقق كتاب العيال الدكتور نجم عبد الرحمن خلف .

المجتمع هو الإرث، فنظمته الآيات القرآنية غاية التنظيم، ولم يترك الإرث للأهواء كما كان في الجاهلية القديمة والحديثة، حتى كانت عملية الإرث وتنظيمه وصية منه تعالى، لم ترد في القرآن إلا قليلا :

﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ [النساء] وفي أى شىء هذه الوصية الهامة؟ إنها في الشؤون المالية في توزيع الإرث ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾ [النساء].

وقد مر معنا أن المولود إذا ولد وصاح صبيحة واحدة تنبئ عن نزوله حيا ثم مات، فإنه يستحق من الإرث، لذلك لا يوزع الإرث حتى تضع الحامل .

وفي توزيع الإرث للأخ مثل نصيب أخته، عدالة إلهية وأية عدالة! فبجانب ذلك التوزيع، أوجب الشرع على الأخ الإنفاق على أخواته من ماله وليس من مالهن، وإن كن أغنياء، فالقاعدة الغرم بالغنم، فكما أن الأخ يأخذ ضعف ما تأخذ أخته، فإنه يجب عليه الإنفاق عليها، فمن جانب أعطاه، ومن جانب أخذ منه، حيثما يتطلب الموقف إعطاء أو أخذًا، وذلك صيانة للأخت من مشقة العمل خارج البيت واستغلال الرجال لها، وقد تتعرض لمواقف تتساهل فيها عن الطهر والنظافة، فحيثما أوجب الشرع الحنيف على البنت والأخت والزوجة القعود في البيت، وتدبير شأنه، أوجب على الأب والأخ والزوج الإنفاق .

هذا وإن الأنثى تأخذ في حالات الإرث جميعها أكثر من الذكر إلا في موطن واحد أن يشاركها أخوها في الإرث . وفي ذلك أكبر دليل على رعاية الإسلام للأنثى تربية ومالاً واقتصاداً .

ولنلق الضوء على الأحاديث النبوية، وبعض المواقف بين الصحابة بهذا الخصوص :

عن سعيد بن المسيب قال : اليتيم إذا بكى اهتز له العرش، فيقول الله - عز وجل : من أبكى اليتيم الذى غيب أباه؟ قالوا : أنت العليم الحكيم، قال : يا ملائكتى!

من سكته برضاه، أعطيته من الجنة حتى رضاه . رواه ابن أبي الدنيا<sup>(١)</sup>.

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : « اتقوا دمة اليتيم، ودعوة المظلوم، فإنهما يسيران بالليل، والناس نيام » . رواه ابن أبي الدنيا<sup>(٢)</sup>.

وعن أبي شريح خويلد بن عمرو الخزاعي رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « اللهم إني أخرج حق الضعيفين : اليتيم والمرأة » . حديث حسن رواه النسائي .

قال النووي - رحمه الله : معنى أخرج : ألحق الحرج، وهو الإثم لمن ضيع حقها، وأحذر من ذلك تحذيرا بليغا، وأزجر عنه زجرا أكيدا .

وأخرج مسلم والبخاري والترمذي والنسائي عن عائشة رضي الله عنها قالت : إن رجلا كانت له يتيمة فنكحها، وكان له عذق نخل، فكانت شريكته فيه وماله، فكان يمسكه عليها ولم يكن له من نفسه شيء، فنزلت : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ الْيَتَامَىٰ مَثْنَىٰ وَثُلَّةَ وَرُبْعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴾ [النساء] .

وفي رواية أن عروة سأها عن قول الله تعالى : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ الْيَتَامَىٰ ﴾ إلى ﴿ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ فقالت : يا بن أختي، هذه اليتيمة تكون في حجر وليها، فيرغب في جمالها ومالها، ويريدون أن ينتقص صداقها، فنهوا عن نكاحهن، إلا أن يقسطوا لهن في إكمال الصداق، وأمر بنكاح من سواهن . قالت عائشة : فاستفتى الناس رسول الله ﷺ بعد ذلك، فأنزل الله تعالى : ﴿ وَكَسَفْتُنَاكَ فِي الْيَتَامَىٰ ﴾ إلى ﴿ وَتَرَعْبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ ﴾ [النساء]، فبين الله لهم أن اليتيمة إذا كانت ذات جمال ومال، رغبوا في نكاحها، ولم يلحقوها بستها في كمال الصداق، وإذا كانت مرغوبا عنها في قلة المال والجمال، تركوها، والتمسوا

(١-٢) كتاب العيال باب في اليتامي، تحقيق الدكتور نجم خلف (٢/ ٨٠٢) .

غيرها من النساء . قالت : فكما يتركونها حيث يرغبن عنها، فليس لهم أن ينكحوها إذا رغبوا فيها، إلا أن يقسطوا لها، ويعطوها حقها الأوفى من الصداق .

وروى البخارى ومسلم عنها أيضا فى قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ<sup>١</sup> وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ [النساء] إنها أنزلت فى ولى اليتيم إذا كان فقيرا أنه يأكل من المال، فكان عليه قيامه عليه بمعروف .

وعن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال : لما أنزل الله : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ﴾ [الإسراء] و : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتِيمِ ظُلْمًا إِنَّهُمْ يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ۖ ﴾ [النساء] قال : انطلق من كان عنده يتييم، فعزل طعامه من طعامه، وشرابه من شرابه، فجعل يفضل الشيء من طعامه وشرابه، فيحبس حتى يأكله، أو يفسد، فاشتد ذلك عليهم، فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ، فأنزل الله : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتِيمِ قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ ﴾ [البقرة] فخلطوا طعامهم بطعامهم، وشرابهم بشرابهم . رواه الحاكم فى مستدركه (٣٠٣/٢) وقال : صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، وسكت عنه الذهبى .

أما التجارة بهال اليتيم، فهذا التوجيه النبوى :

أخرج مالك فى الموطأ عن مالك بن أنس رضي الله عنه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : اتجروا فى أموال اليتامى، لا تأكلها الصدقة .

وروى الترمذى عن عمرو بن شعيب - رحمه الله - عن أبيه، عن جده : أن النبى ﷺ خطب الناس فقال : «ألا من ولى يتيما له مال فليتجر فيه، ولا يتركه حتى تأكله الصدقة»<sup>(١)</sup> .

(١) ضعيف، انظر : ضعيف الجامع رقم (٢١٧٨)

يقول الشيخ الأكبر محمود شلتوت - رحمه الله - شيخ الأزهر سابقاً<sup>(١)</sup>.

«وقد تأثرت نفوس القوم بهذه الوصايا المكية التى جاءت فى شأن اليتيم،

وصاروا من أمره فى حرج وحيرة :

- أيترون القيام عليه، فيفسد أمره، ويختل شأنه؟

- أم يقومون عليه، ويعزلونه عن أبنائهم : فى مأكله، ومشربه، فيشعر بالذلة والمسكنة؟

- أم يخالطون: فيعرضون أنفسهم لأكل شىء من ماله؟

- أم ماذا يفعلون؟

التمست نفوسهم ما ينقذهم من هذه الحيرة، ويخفف عنهم عبء هذه

المسؤولية التى ثقل بها كاهلهم، وعندئذ نزل قوله تعالى :

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الَّتِي مَنَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ

الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾ [البقرة: ٢٢٠]، فأفهمهم أن المخالطة مع العدل والإصلاح من مقتضى ما بينهم من الأخوة الإنسانية والدينية والرحم .

ثم جاءت سورة النساء وبرزت فيها عناية خاصة باليتيم فى شأنه كله، ومهدت

لهذه العناية، بطلب تقوى الله والأرحام، وبيان أن الناس جميعاً خلقوا من نفس

واحدة، فاليتيم حتى لو كان من غير أسرركم، فهو أخوكم، ورحمكم، فقوموا له

بحق الأخوة وحق الرحم، واحفظوا أمواله، وهذبوا نفسه، واحذروا اغتيالها

وأكلها، واحذروا إهماله وإلقاء حبله على غاربه، وفى ذلك يقول الله - تعالى :

﴿وَأَتُوا الَّتِي مَنَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَبْدُلُوا الْخَيْبَ بِالْطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ

إِنَّهُ كَانَ حُبًّا كَبِيرًا﴾ [النساء] ويقول : ﴿وَابْتَئُوا الَّتِي مَنَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ

ءَانَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ

(١) انظر : من توجيهات الإسلام للشيخ شلتوت - رحمه الله (ص ١٦٢) .

غَنِيًّا فَلَيْسَتْ عَقِيفٌ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦٠﴾ [النساء].

### القاعدة الثالثة: أجر الأم التي تربي أيتامها، ولا تتزوج :

روى أبو داود وأبو يعلى<sup>(١)</sup> عن عوف بن مالك عن النبي ﷺ قال : «أنا وامرأة سفهاء<sup>(٢)</sup> الخلدن، آمت<sup>(٣)</sup> من زوجها فصبرت على ولدها، كهاتين في الجنة». وزاد أبو داود : «ذات منصب وجمال، حبست نفسها على يتاماها حتى بانوا، أو ماتوا»<sup>(٤)</sup>.

يقول الشيخ محمود شلتوت - رحمه الله - في بيان هذا الحديث :

«هذه الأم التي مات عنها زوجها، وهي ذات منصب وجمال، وترك لها أيتاما، فتأملت عليهم، وحبست نفسها على خدمتهم، حتى تغير لونها، وانطفأ جمالها، ونسيت وسائل الزينة، ومظاهر الجمال في سبيل هيمتها على الأيتام، وفي سبيل تربيتهم، والمحافظة عليهم»<sup>(٥)</sup>، فاستحقت أن تكون مع الرسول ﷺ.

وهكذا وجدنا اهتمام رسول الله ﷺ بكل من الضعيفين البنت واليتيم، فوجه الأمة إلى زيادة الاهتمام بهما، والحرص عليهما، والإحسان إليهما، وأنها مكرمة أى مكرمة!

### القاعدة الرابعة : معاملة اليتيم مثل معاملة الابن في التربية والتعليم والتأديب :

كان من رعاية النبي ﷺ لليتيم أن يوجه الأمة لرعايته والحفاظ على ماله، والنظر في مصالحه الدنيوية والأخروية، وتهيته جيدا للمجتمع؛ ليكون عنصرا فاعلا مفيدا.

ولكن قد يشذ اليتيم في بعض الأحيان، مما يحتاج إلى تأديبه، وإنزال العقوبة به،

(١) كما في الأدب المفرد (١/٢٢٨).

(٢) السفعة : سواد مع لون آخر تغير وقد لونها لما تكابد من المشقة .

(٣) آمت : آمت المرأة من زوجها : إذا مات عنها زوجها، أو قتل، فأقامت لا تتزوج .

(٤) في سنده النهاس بن قهم وهو ضعيف. انظر : جامع الأصول (١/٤١٤).

(٥) انظر : من توجيهات الإسلام (ص ٦٣).

فإن ترك بلا تأديب لربما يفسد حاله الآنئ والمستقبلي، لذا فإن رسول الله ﷺ قد أذن في تأديبه، ووضع قاعدة للتأديب، وذلك باعتبار اليتيم مثل منزلة الابن :

عن ابن حبان في صحيحه (موارد الظمآن رقم : ٢٠٣٨) عن جابر رضي الله عنه قال : قال رجل : يا رسول الله، مم أضرب منه يتيماً؟ قال : «مما كنت ضارباً منه ولدك، غير واق مالك بهاله، ولا متأثل من ماله مالا». ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه (١٧/٩) والبيهقي في السنن الكبرى (٦/٢٨٥) .

وقد سار الصحابة - رضوان الله عليهم - على ذلك، فكتطف جملة من تلك الآثار من كتاب (العيال) لابن أبي الدنيا<sup>(١)</sup> :

وعن قتادة قال : «كن لليتيم كالأب الرحيم، ورد المسكين برحمة ولين» رواه ابن أبي الدنيا<sup>(٢)</sup> :

وعن إبراهيم قال : ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ [الضحى : ٩] قال : لا تحقره . رواه ابن أبي الدنيا<sup>(٣)</sup> .

وعن عبد الرحمن بن أبزي قال : «قال داود لابنه: كن لليتيم كالأب الرحيم، واعلم أنك كما تزرع كذاك تحصد» . رواه ابن أبي الدنيا .

وعن هشام بن عروة عن أبيه قال : لما قدم بولد محمد بن أبي بكر ضمتهم عائشة - رضي الله عنها - إليها، فلما شبا وقويا على أنفسهما، أرسلت إلى أخيها عبد الرحمن بن أبي بكر، وقالت : إنني أطلبك، قد وجدت في نفسك من يولى عليك أمر ولد أخيك، ولم يكن ذاك بشيء تكرهه، إن يلى سلوك منهم، نظر قبيح، أمر الصبيان، وكن لهم كما كان حجية بن المضرب، فإنه غزا غزوة، وخلف ابن أخيه عند أخته، فرجع وقد عوّلا وفسقا، فسألها؟ فأرياً، وقعدا مسعاً مسعاً، وقالوا : كانت تقر

(١) انظر : كتاب العيال (٢/٨١٥) .

(٢، ٣) المصدر السابق .

في هذا . فأرسل إلى عشيرته، فقال : أشهدكم : إن إبلى، وغنمى، ورقيقى لابن أخى، فغضبت امرأته، فضربت بينها وبينه حجاباً، ثم جعلت تكحل مرة، وتسخب<sup>(١)</sup> مرة، قال : فأنشأ يقول :

لججنا ولجّت هذه في التغضب ولُطّ الحجابُ دوننا والتَّنْقُب  
وخطّت بعودى حفر عينها لتقبلنى وشدّ صاحب زينب  
وكان اليتامى لا يسدّ معونهم هدايا لهم في كل قعب مثقّب  
فقلت لعبدنا أريحاً عليهما فيجعل بيتى بيت آخر معزب  
ورحمت بين مقدما دقل لهم وحوهم مسى ورب أحقب  
أجارى به بما من لو أتيت بماله جرينا لانبأى على كل مرحب  
أفى والدى إن أدعه لعظمة يجبنى وأن أغضب إلى السيف يغضب  
فقلت : خذوها دونكم إن عمكم هو اليوم أولى منكم بالتكسب

ومما زاد في أهمية هذه الأبيات حفظ عائشة - رضى الله عنها - ثم توصيتها بحفظها وروايتها حيث تقول: ترووا أبيات حجية بن المضرب وأنها خاصة على النبي». رواه ابن ابى الدنيا<sup>(٢)</sup>.

وعن الليث بن سعد أن عمير بن أبى ناجية (ثقة عابد متوفى ٢٣٥هـ) حدثه، قال: أخذت يتيما من قريش، فانقلبت به إلى منزلى، وأطعمته، ودهنته، ووهبت له فلوسا، وقلت: اللهم أشرك أُمى معى فيما صنعت بهذا اليتيم.

قال: ثم نمت، فرأيت أُمى، أقبلت ملتبسة على أحسن ما كانت عليه، معها ذلك اليتيم، حتى وقفت، ثم قالت : أى بنى، لو رأيت ما صنع بى هذا الغلام منذ

(١) السّخاب : القلادة من رياحين ليس فيها لؤلؤ، ولا جوهر .

(٢) انظر : كتاب العيال لابن أبى الدنيا (٨٢/٢) وما بعد .



اليوم، قال الليث : تقول : أصبت به خيراً، للذى كان من عمير، ابنها اليتيم<sup>(١)</sup> .

وعن محمد بن سيرين قال : فرح اليتيم بالثوب الحسن تكسوه، وبالشئ تصنعه له، فانه أسرع لشبابه، فإن عاش رزقه، وإن مات كان أحق من أكل ماله .  
رواه ابن أبي الدنيا<sup>(٢)</sup> .

وكان الفقيه ميمون بن مهران (ت ١٧٧ هـ) رحمه الله يضرب يتيماً له عنده واليتيم يقول : ألا ترحم هذا اليتيم؟! اتق الله في هذا اليتيم! وميمونا يضرب، ويقول : اللهم! أصلح هذا اليتيم . رواه ابن أبي الدنيا.

وروى البخارى فى الأدب المفرد (١/ ٢٢٧) أن أساء بن عبيد قال : قلت لابن سيرين : عندى يتيماً، قال : اصنع به ما تصنع بولدك، اضربه ما تضرب ولدك .  
وروى أيضاً عن شميصة العتكية قالت : ذكر أدب اليتيم عند عائشة فقالت :  
إنى لأضرب اليتيم حتى ينبسط .

وإن مما خلده المسلمون وما يزالون : فكرة دار الأيتام حيث يجمع الأيتام الفقراء، الذين لا معيل لهم فينفق عليهم، فأوقف الأغنياء لهم من أموالهم لينفق عليهم، فتنشأ لهم المدارس الخاصة بهم، ويرون تربية خاصة، كما تنشأ الحرف اليدوية والمهارات المهنية، فمن لم يفلح فى طلب العلم، فيعلم ويتدرب على حرفة النجارة أو الصناعة .  
ويدخر له ما ينتج ويبيع له فى السوق، وتجمع أمواله، حتى إذا بلغ الرشد فى تصرفاته المالية والمهنية استقل بنفسه، وأصبح عضواً فاعلاً فى المجتمع .

وبذلك يساهم كل المجتمع المسلم فى تنشئة ورعاية اليتيم، وتعليمه وتربيته، فضلاً عن بيت مال المسلمين إن وجد .

نداء من شيخ الأزهر محمود شلتوت إلى الأعمام والأوصياء والأمة<sup>(٣)</sup> :

(١ - ٢) انظر كتاب العيال لابن أبي الدنيا (٢/ ٨٢) .  
(٣) انظر : من توجيهات الإسلام للشيخ شلتوت - رحمه الله (ص ١٦٣) .

«فيا أيها الأعمام، ويا أيها الأوصياء، كونوا في الإشراف على اليتامى، في حذر من غضب الله، واعلموا أن إهمال اليتيم لا يقف ضرره عند اليتيم، بل هو ضرر تنفسي جراثيمه، وتنتشر سمومه في جسم الأمة كلها، فيعترها الضعف والانحلال، وتبوء بالخزى والدمار، وشر بيت - كما يقول الرسول ﷺ - بيت فيه يتيم يساء إليه، وشر أمة، أمة فيها يتامى يساء إليهم، فيهمل أمرهم، وتفسد أخلاقهم، وتنقطع صلتهم بخالقهم، ويكونون لبنات هزيلة في بناء الأمة، فتسقط من عليائها، وتصبح أثرا بعد عين .

إن الدهر قلب، والناس في سفينة تتقاذفها أمواج الحياة، ترفعها تارة، وتخفضها أخرى، ولا عاصم إلا من رحم الله، ولا يرحم الله إلا من امثل أمره، واتبع هداه، ومن كان تحت يده يتيم، فليذكر الله على اليتيم، وليذكر أن ما نزل بغيره، فترك أولاده أيتاما، قد ينزل به، فيترك أولاده هو الآخر أيتاما :

﴿وَلْيَحْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۖ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ۖ﴾ [النساء].

**الأساس العاطفي الثامن : التوازن في حب الطفل بلا إفراط أو تفريط :**

أفاض الشيخ الجليل محمد الخضر حسين - رحمه الله تعالى - وهو ينبه إلى ضرورة التوازن في حب الطفل<sup>(١)</sup> فقال : من الناس من يدرك أن التقام الأطفال لثدى التربية مما يؤثر في نفوسهم إصلاحا عظيما، ولكن فرط الرأفة الذي ينشأ عن التغالى في حبهم، يكسر من صلابة الآباء شيئا كثيرا، فيدفعهم عن مكافحة طباع أبنائهم الرديئة، ومقاومتها بالتأديب، وينفض بهم ذلك الإهمال إلى التنقل في مرتع الشهوات الزائفة، كلا، هذه رأفة غير ممزوجة بحكمة . مع أن التنقل في مراتع

(١) السعادة العظمى (ص ١٠) .

الشهوات تتولد عنه نتائج وخيمة، تثير بين الآباء والأبناء الفرقة والتباعد بمقدار ما كان بينهم من الحنان والمقاربة، وتصير بهم إلى أن تضرسهم أنياب الاضطهاد، وتدوسهم أقدام الامتهان .

لا نريد بكراهية هذه الرأفة المفرطة أن يفتك الصبي من أقدام سائر إرادته، ويسلب منه جميع عزائمه، كما يفعله الجاهلون بأساليب الإصلاح والتهذيب، إن ذلك مما يحول بينه وبين عزة النفس، وما يتبعها من قوة الجأش، وأصالة الرأي، والإقدام على إرسال كلمة الحق عندما يقتضيها المقام، فيكون ألعوبة بين معاشريه كالكرة المطروحة بينهم يتلقفونه رجلا، أو آلة يستعملونها فيما يشتهون .... التربية النافعة ما كانت أثرا لمحبة يطفئ البأس شيئا من حرارتها، وصرامة تلطف الشفقة من شدتها، وهى التى يستوجب الوالدان دعاء الولد بقوله: ﴿رَبِّ اَرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء] .

ويتابع قوله : ولم يفقه بعض أرباب البيوت، ومن يحاول اللحاق بهم أهمية التربية حتى الآن، فيفراطون فى مجارة الولد على جميع أهوائه، ويفوضون له أن يقضى ما هو قاض، وربما تغنوا بمدحهم فى المجامع الحاشدة، وأطروه بما لا تنطبق شهادة ثماره عليه، ولبئس ما كادوه به لو كانوا يعلمون، إنما نصبوا لهذا المسكين مكيدة تسد فى وجهه أبواب الآداب الجميلة، وتجعل بينه وبين السعادة حجابا مستورا<sup>(١)</sup>.

وقد حذر الله تعالى المؤمن من فتنة حب الولد فقال سبحانه: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ مِنْ أَرْوَاحِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾ [التغابن : ١٤] قال القرطبي فى تفسيره عن عكرمة قال فى تفسير الآية : كان الرجل يريد أن يأتى النبى ﷺ فيقول له أهله : أين تذهب وتدعنا؟ قال : فإذا أسلم وفقه قال : لأرجعن إلى الذين كانوا ينهون عن هذا الأمر، فلا فعلن ولا فعلن، قال : فأنزل الله عز وجل

(١) السعادة العظمى (ص : ١٠) .

﴿وَأَن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ .

وقال مجاهد : ما عادوهم في الدنيا، ولكن حملتهم مودتهم على أن أخذوا لهم الحرام، فأعطوه إياهم .

والآية عامة في كل معصية يرتكبها الإنسان بسبب الأهل والولد، وخصوص السبب لا يمنع عموم الحكم .

وعن بعض السلف : العيال سوس الطاعات .

وقال ابن مسعود رضي الله عنه : لا يقولن أحدكم : اللهم اعصمني من الفتنة، فإنه ليس أحد منكم يرجع إلى مال وأهل وولد إلا وهو مشتمل على فتنة، ولكن ليقل : اللهم إني أعوذ بك من مضلات الفتن .

وقال الحسن في قوله تعالى : ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ﴾ أدخل (من) للتبويض، لأن كلهم ليسوا بأعداء . ولم يذكر (من) في قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن : ١٥] لأنها لا يخلوان من الفتنة واشتغال القلب بهما .

روى الترمذى وغيره، عن عبد الله بن بريدة، عن أبيه قال : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يخطب، فجاء الحسن والحسين -رضى الله عنهما- وعليهما قميصان أحمران، يمشيان ويعثران، فنزل النبي صلى الله عليه وسلم فحملهما بين يديه، ثم قال : «صدق الله -عز وجل : ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن : ١٥] نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان، ويعثران، فلم أصبر، حتى قطعت حديثي ورفعتهما» . ثم أخذ صلى الله عليه وسلم في خطبته . انتهى من القرطبي .

وقال ابن كثير في تفسيره :

قال مجاهد : يحمل الرجل على قطيعة الرحم، أو معصية ربه، فلا يستطيع الرجل مع حبه إلا أن يطيع .

وروى ابن أبي حاتم - وأسنده - عن ابن عباس - رضى الله عنهما - وسأله رجل عن هذه الآية : ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَأَحْذَرُوهُمْ﴾ قال : فهؤلاء رجال أسلموا من مكة فأرادوا أن يأتوا رسول الله ﷺ فأبى أزواجهم وأولادهم أن يدعوهم، فلما أتوا رسول الله ﷺ رأوا الناس قد فقهاوا في الدين، فهموا أن يعاقبوهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية : ﴿وَإِنْ تَعَفُّوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التغابن] وكذا رواه الترمذى .

روى الطبرانى - وأسنده ابن كثير - عن أبى مالك الأشعرى أن رسول الله ﷺ قال : «ليس عدوك الذى إن قتلته كان فوزا لك، وإن قتلك دخلت الجنة، ولكن الذى لعله عدو لك ولدك، الذى خرج من صلبك، ثم أعدى عدو لك، مالك الذى ملكت يمينك» . انتهى من ابن كثير .

وقد فطر الله - تعالى حب الأولاد فى قلوب الآباء فقال: ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْبُ الْمَقَابِلِ﴾ [آل عمران : ١٤] .

فحب الأولاد مطلوب، ولكن ألا يكون على حساب أوامر الله - تعالى - وتطبيق شرعه، وألا يفرط ذلك الحب ويطنى على حب نبيه ﷺ وأوامره ونواهيه، وسننه وآثاره، وألا يؤدى إلى الكسب الحرام، والعيش الحرام .

وهكذا تجد أن الرأفة، والحنان، والبناء العاطفى كلما كان متوازنا اقترب نحو البناء الذى يؤتى أكله كل حين بإذن ربه، وإمكاننا تشبيه الرأفة، والحنان، والعطف مثل وجبة الطعام، فكما أن الإكثار من الطعام يؤدى إلى التخممة والأمراض، فزيادة الحنان تؤدى لمرض الدلال، الذى يؤدى إلى الميوعة، وعدم الجدية.

ولكن يبقى السؤال الذى يطرح نفسه : ما هى الضوابط التى تجعل هذا الحب والعطف متوازنا؟

للإجابة نجد ثلاث قواعد :

**القاعدة الأولى : أن تلزم نفسك وولدك شرع الله تعالى<sup>(١)</sup>.**

إن حب الولد له حدود، وإن حب الوالدين له حدود كذلك .

إن حب الله ورسوله ﷺ مقدم على أى حب، ويضبط هذا الحب عندما يتعارض أمر الله ورسوله ﷺ مع رغبات الولد أو الوالدين، فهنا يسارع المؤمن إلى حب الله ورسوله ﷺ ويسارع لامتنال الأمر، والابتعاد عن النهى .

فقد أخرج البخارى ومسلم والنسائى عن أنس ؓ : أن رسول الله ﷺ قال : «والذى نفسى بيده! لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين» .

وروى الترمذى عن سليمان بن عمرو بن الأحوص - رحمه الله تعالى - قال : حدثنى أبى : أنه شهد حجة الوداع مع رسول الله ﷺ فحمد الله، وأثنى عليه، وذكر، ووعظ، ثم قال : «ولا يجنى والد على ولده، ولا يجنى ولد على والده» .

وتعثر الحسن ؓ والرسول ﷺ على منبره، فنزل، فحمله، وقال : «صدق الله فى كتابه : ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾» [التغابن : ١٥] . أخرج أصحاب السنن من حديث بريدة فى الحسن والحسين معا يمشيان، ويعثران، قال الترمذى : حسن غريب . وفى رواية قال : «صدق الله ورسوله»، وفى أخرى : «صدق الله» .

وفى تقديم سيدنا إبراهيم - عليه السلام - لأمر الله بذبح ولده، وفى تنفيذ الابن قدوة وأسوة لمن يعتبر .

(١) راجع الفصل الأول، فقرة (٧) الأولاد زينة الحياة الدنيا وفتنتها .

وكان سفيان الثوري يعجب بالرجل، فإذا بلغه أنه معيل سقط من عينه، فقلت له في ذلك، فقال : ما رأيت معيلاً إلا وجدته مخلطاً<sup>(١)</sup>. أى يخلط بين الحلال والحرام في الكسب .

وقال سفيان : إذا عال الرجل ثلاثة، فلا تسأل عن درهمه<sup>(٢)</sup>. وقال سفيان بن عيينة للفضيل بن عياض : يا أبا على، لا تعد بصاحب عيال ذهب عيالي بحسناتي<sup>(٣)</sup>.

وعن حيران بن العلاء الكيسانى : أن عمر بن عبد العزيز ولى رجلاً يقال له : جعونة أذربيجان، فقال : يا جعونة، إنى قد ومقتك (أى أحبتك)، فاحذرن أن أمقتك (أى أبغضك) وإنى وليتك أذربيجان، فاتق الله، وسرفيهم بكتاب الله، وسنة نبيه ﷺ، ولا تقولن : أجمع لولدى، فإن الله - تبارك وتعالى - إن كتب لولدك الغنى، لم يضرهم ألا تترك لهم درهما، وإن كان كتب لهم الفقر لم تنفعهم الدنيا، هل تدري يا جعونة، ما يجب أهلك لك؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين، يحبون صلاحى . قال : لا، والله، ما يحبون صلاحك، ولكن يحبون ما أقام لهم سوادك، وما أكلوا في غمارك، وما تركوا على ظهرك، فاتق الله، ولا تطعمهم إلا طيباً<sup>(٤)</sup>.

وكتب أبو الدرداء إلى بعض إخوانه - وخاف عليه حب ولده :

«أما بعد : يا أخى، فإنك لست فى شىء من الدنيا، إلا وقد كان له أهل قبلك، وستكون أهل لمن بعدك، وإنما تجمع لمن لا يحمذك، وتصير إلى من لا يعذرك، وإنما تجمع لأحد رجلين :

- إما محسن فيسعد بها شقيقت له .

- وإما مفسد فيشقى بها جمعت له .

(١-٤) انظر : كتاب العيال (٢/٦١٩) باب : الاغتباط بقلة العيال .

وليس واحد منها أهلاً أن تؤثره على نفسك، ولا تبرك له على ظهرك، ثقل لمن مضى منهم رحمة الله، ولمن بقى منهم رزق الله، والسلام .

### القاعدة الثانية : أن تكون مضيافاً، كريماً، شجاعاً، محباً للعلم :

روى الحاكم عن الأسود بن خلف، والطبراني عن خولة بن حكيم قال: أخذ النبي ﷺ حسناً فقبله، ثم قال: « إن الولد مبخله مجبنة، مجهلة مخزنة »<sup>(١)</sup>.

وروى الإمام أحمد، والترمذي عن خولة بنت حكيم - رضى الله عنها : أن رسول الله ﷺ خرج محتضناً أحد ابني ابنته، وهو يقول : « والله، إنكم لتبخلون، وتجبنون، وتجهلون، وإنكم لمن ربحان الله ».

قال الزمخشري في الفائق (١٨٥) : معناه : أن الولد يوقع أباه في البخل إبقاءً على ماله له، وفي الجهل شغلاً به عن طلب العلم، وفي الجبن خوفاً من أن يقتل فيضيع ولده بعده، وفي الحزن أنه يحزن لأمره وشأنه، وقوله : « وإنكم لمن ربحان الله » يعنى : إنهم يشمون، ويقبلون، فهم من جملة الرياحين التي أنبتها الله<sup>(٢)</sup>.

فما دام الولد مبخله يورث في نفس الوالدين الشح والبخل، وذلك من شدة حبهما لأولادهما في تخزين المال لهم، فعلاج الأمر بإكرام الضيف، وذلك كما فعل الصحابة - رضى الله عنهم - وفرح به رسول الله ﷺ، وتعجب الله تعالى من ذلك الإكرام .

أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة ؓ قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : إني مجهود، فأرسل إلى بعض نسائه، فقالت : والذي بعثك بالحق، ما عندي إلا ماء، ثم أرسل إلى أخرى فقالت مثل ذلك، وقلن كلهن مثل ذلك، فقال رسول الله ﷺ : « من يضيفه يرحمه الله » فقام رجل من الأنصار، يقال له : أبو طلحة، فقال : أنا يا رسول الله، فانطلق به إلى رحله، فقال لامرأته : هل عندك شيء؟ قالت : لا إلا

(١) صحيح انظر : صحيح الجامع رقم (١٩٠) .

(٢) نقلاً عن كتاب : العلماء العزاب .



قوت صبياني، قال : فعلليهم بشيء، ونومهم، فإذا دخل ضيفنا فأريه أنا نأكل، فإذا أهوى بيده ليأكل، فقومى إلى السراج كى تصلحيه، فأطفئيه . ففعلت، فقعدوا، فأكل الضيف، وباتا طاويين، فلما أصبح غدا إلى رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ : «لقد عجب الله، أو ضحك الله من فلان وفلانة، فأنزل الله عز وجل : ﴿ وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ [الحشر : ٩]، وفي رواية أخرى : «قد عجب الله من صنيعكما بضيفكما الليلة» .

أرأيت لهذا التوازن، وجمال هذا التخطيط في إكرام الضيف؟! رغم حاجة أولادهم إلى هذا الطعام، فأين الترية الغربية من هذا الجمال؟!

وروى الإمام أحمد عن الأشعث بن قيس قال : قدمت على رسول الله ﷺ في وفد كندة، فقال لى : «هل لك من ولد؟» قلت : غلام ولد لى فى مخرجى إليه من ابنة حمد، ولوددت أن بمكانه سبع القوم، فقال ﷺ : «لا تقولن ذلك، فإن فيهم قرّة عين، وأجرا إذا قبضوا» . ثم قال : «ولئن قلت ذاك، إنهم لمجنة محزنة، إنهم لمجنة محزنة» .

وروى البزار عن أبى سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : «الولد ثمرة القلوب، وإنهم مجبة محزنة»<sup>(١)</sup>.

وعن أبى معاوية الأسود قال : لاتهم بأرزاق من تخلف، فلست بأرزاقهم تكلف<sup>(٢)</sup>.

وعن عمر بن الخطاب ؓ قال : أمرنا رسول الله ﷺ يوما أن نتصدق، فوافق ذلك ما لا عندى، فقلت : اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يوما، فجئت بنصف مالى، فقال رسول الله ﷺ : «ما أبقيت لأهلك؟» فقلت : مثله، وأتى أبو بكر بكل ما عنده،

(١) انظر : كتاب العيال (٦١٩/٢) باب : الاغتباط بقلّة العيال .

(٢) انظر : تفسير ابن كثير تفسير سورة التغابن، آية (١٤) .

فقال : «يا أبا بكر، ما أبقيت لأهلك؟» فقال : أبقيت لهم الله ورسوله، فقلت : لا أسابقك إلى شيء أبدا . رواه الحاكم في مستدركه (١/ ٤١٤) وقال : صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي .

ومما فعله السلف الصالح أنهم إذا أهدوا من الوالى أو الخليفة شيئا أن ينفقوه في وجوه البر والخير :

روى ابن أبى الدنيا فى كتاب العيال (٢/ ٦٤٣) عن مسعر قال : «أرسل ابن هبيرة (وكان والى البصرة والكوفة) إلى عون بن عبد الله (كان إماما فى العلم وهو من انثقات الأثبات) بعشرة آلاف درهم، فردها عليه، وأعادها إليه، وغضب، وقال : لئن لم يقبلها، لأفعلن ولأفعلن، فقال له أصحابه : اقبلها، واشتر بها صنعة تكون عقدة لك، ولولدك من بعدك، وذخرا .

قال : هذا رأيكم؟! قالوا : نعم . فقبلها، فتصدق بها، وقال : إنى رأيت أن أجعل هذه عقدة لى عند الله - عز وجل - وذخرا الولدى من بعدى .

وإما أن تكون شجاعا فى سبيل الله، وذلك حتى لا يطغى حب الولد فيورث الجبن والخوف والذعر عن الجهاد فى سبيل الله، وبالتالي تحصل الهلكة للمجتمع كله إذا ابتعد كل فرد عن الجهاد فى سبيل الله، وفى ذلك تنبيه وتحذير من الله تعالى :

﴿ قُلْ إِنْ كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِّنْ آلَهِ وَرُسُلِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرْتَضَوْا حَتَّى يَأْتِيَ آلَهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدَى الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [التوبة] .

لقد جعلت الآية الكريمة الدين أئمن وأعلى شىء للإنسان، فهو أغلى وأئمن من الآباء والأمهات والأبناء والعشيرة والأقرباء والمال والوطن .... الدين والإيمان

هو أعلى من أولئك جميعاً، فإذا تضاربت مصلحة الدين مع أحد من أولئك، قدم المؤمن مصلحة الدين، ولم يلتمس الأعذار؛ لأن المحاسب على ذلك هو الله خالق البشر، وليس المحاسب هو البشر؛ ولأن في حياة الدين حياة المجتمع المسلم، وفي ضعفه ضعف للمجتمع المسلم، ومن أبواب الشجاعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهي تختص بمن فقه مسألة شرعية على النحو المطلوب، وعرف المحرمات والنواهي، وغلب على ظنه حصول مصلحة، وإن المصلحة تغلب المفسدة في التبليغ فإنه يبادر لذلك، وقد قال على - كرم الله وجهه : «واعلموا أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لا يقطع رزقا، ولا يقرب أجلا»<sup>(١)</sup>.

فعلى - كرم الله وجهه - عالج مشكلة نفسية تنتاب المسلم عندما يقدم على الأمر بالمعروف أو النهي عن المنكر، فيأتيه الشيطان ليثبطه عن ذلك، ويأتيه من باب رزق العيال، وقوت العيال، والدنيا أكل عيش، ويهدده بالموت، ويوسوس إليه أن حياة الأولاد ستضيع من بعده ... إلخ .

القاعدة الثالثة : الصبر على مرض و وفاة الطفل، واحتسابه عند الله تعالى :

#### ١ - الصبر على مرض الطفل :

روى الترمذى عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما يزال البلاء ينزل بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله وما عليه من خطيئة »<sup>(٢)</sup>.

وفي رواية لمالك : « ما يزال المؤمن يضار في ولده وحامته - أى : خاصته وقرابته - حتى يلقى الله، وليست له خطيئة » .

وروى أبو داود عن محمد بن خالد السلمى - رحمه الله - عن أبيه عن جده، وكانت له صحبة، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن العبد إذا سبقت له من

(١) انظر : مختصر ابن كثير (١/ ٥٣١) .

(٢) صحيح انظر : صحيح الجامع رقم (٥٨١٥)، ورواه أحمد، والحاكم، وابن أبي الدنيا، وأبو نعيم في (الحلية) .

الله منزلة، فلم يبلغها، ابتلاه الله تعالى في جسده، أو في ماله، أو في ولده»، زاد في رواية : «ثم صبره على ذلك، حتى يبلغه المنزلة التي سبقت له من الله عز وجل»<sup>(١)</sup>.

## ٢ - أجر الصبر على وفاة الطفل :

قال تعالى : ﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ۚ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ۚ﴾ [الكهف]

قال ابن كثير في التفسير : أى : يحملها حبه على متابعتها على الكفر . وقال قتادة : قد فرح به أبواه حين ولد، وحزنا عليه حين قتل، ولو بقى لكان فيه هلاكهما، فليرض امرؤ بقضاء الله، فإن قضاء الله للمؤمن فيما يكره خير له من قضائه فيما يحب .

وروى الترمذى<sup>(٢)</sup>، وقال : حديث حسن، عن أبى موسى رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال : «إذا مات ولد العبد قال الله لملائكته : قبضتم ولد عبدى؟ فيقولون : نعم، فيقولون : قبضتم ثمرة فؤاده؟ فيقولون : نعم، فيقول : فماذا قال عبدى؟ فيقولون : حمدك واسترجع - أى : قال : إنا لله وإنا إليه راجعون - فيقول الله تعالى : «ابنوا لعبدى بيتا فى الجنة، وسموه بيت الحمد» .

والرسول ﷺ قدوة للمصابين بفقد الأبناء، فقد أولاده الذكور وهم صغار، فقد مات ولده القاسم وهو ابن سنتين رواه ابن سعد (١/١٣٣)، ثم مات ولده عبد الله، فقال العاص بن وائل : لقد انقطع نسله فهو أبتَر فأنزل الله تبارك وتعالى : ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر]، وقد ذكر غير واحد من الرواة أنها ماتا قبل البعثة .

ثم ماتت بناته كلهن إلا فاطمة - رضى الله عنها - ماتت بعد وفاة الرسول ﷺ

(١) فى سنده محمد بن خالد، وهو مجهول، ولكن يشهد لمعناه الحديث الذى قبله. انظر : جامع الأصول (٥٨٥/٩) تحقيق الأرنؤوط .

(٢) انظر : سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (١٠٤٨) .

بسته أشهر، وكانت أول من لحقت به من أهله، كما بشرها الرسول ﷺ بذلك .

وروى البخارى ومسلم بعضه عن أنس ﷺ : أن رسول الله ﷺ دخل على ابنه إبراهيم ﷺ وهو يجود بنفسه، فجعلت عينا رسول الله ﷺ تذرفان، فقال له عبد الرحمن بن عوف : وأنت يا رسول الله؟ فقال : «يا بن عوف إنها رحمة»، ثم أتبعها أخرى فقال : «إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضى ربنا، وإننا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون» .

قال الحافظ ابن حجر معلقا على الحديث : قال ابن بطلال وغيره : هذا الحديث يفسر البكاء المباح، والحزن الجائز، وهو ما كان بدمع العين، ورقة القلب، من غير سخط لأمر الله، وهو أي شئ وقع في هذا المعنى، وفيه مشروعية تقبيل الولد، وشمه، ومشروعية الرضاع، وعيادة الصغير، والحضور عند المحتضر، ورحمة العيال، وجواز الإخبار عن الحزن، وإن كان الكتمان أولى، وفيه وقوع الخطاب للغير وإرادة غيره بذلك، وكل منهما مأخوذ من مخاطبة النبي ﷺ ولده، مع أنه في تلك الحالة لم يكن ممن يفهم الخطاب لوجهين، أحدهما : صغره، والثاني : نزاعه، وإنما أراد بالخطاب غيره من الحاضرين، إشارة إلى أن ذلك لم يدخل في نهيه السابق .

وفي الصحيحين عن أنس ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : «ما من مسلم يموت له ثلاثة، لم يبلغوا الخنث، إلا أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم»<sup>(١)</sup>.

وفي الصحيحين أيضا عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : «لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد، لا تمسه النار إلا تحلة القسم» . ومعنى - تحلة

(١) الأحاديث الواردة في موت ثلاثة أولاد، أو ولدين، أو ولد واحد حجاب من النار . أخرجه البخارى كتاب (٣) الباب (٣٦) باب (٩٢) وكتاب (٩٦) باب (٩) ومسلم كتاب (٤٥) حديث (١٥٠-١٥٦) والترمذى كتاب (٨) باب (٣٦) و(٦٤) والنسائى كتاب (٢١) باب (٢٤-٢٦) وابن ماجه كتاب (٦) باب (٥٦) والموطأ كتاب (١٦) حديث (٣٨-٤٠) وابن سعد جزء (٤) قسم (١) ص (٧٢)، وأحمد جزء (١٠٢١٥، ٣٧٥، ٤٤١، ٤٢٩، ٢/٢٣٩، ٢٤٦، ٢٧٦) . والطياىلى حديث (٢٦٢، ٨٠٨، ٢٣٠٤) .

القسم - قوله : ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ [مريم : ٧١] والورود هو : العبور على الصراط، وهو جسر منصوب على ظهر جهنم .

قال الحافظ ابن حجر معلقا على الحديثين<sup>(١)</sup> : والمعنى : لم يبلغوا الحلم، فتكتب عليهم الآثام، قال الخليل : بلغ الغلام الحنث : إذا جرى عليه القلم، والحنث : الذنب، قال الله تعالى : ﴿ وَكَأَنُؤُا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ ﴾ [الواقعة] وقيل : المراد إذا بلغ إلى زمان يؤخذ بيمينه إذا حنث، وقال الراغب : عبر بالحنث عن البلوغ لما كان الإنسان يؤخذ بما يرتكبه فيه، بخلاف ما قبله، وخص الإثم بالذكر، لأنه الذي يحصل بالبلوغ، لأن الصبي قد يثاب، وخص الصغير بذلك؛ لأن الشفق عليه أعظم، والحب له أشد، والرحمة له أوفر، وعلى هذا فمن بلغ الحنث لا يحصل لمن فقدته ما ذكر من هذا الثواب، وإن كان في فقد الولد أجر في الجملة، وإن أولاد المسلمين في الجنة، لأنه يبعد أن الله يغفر للآباء بفضل رحمتهم للأبناء، ولا يرحم الأبناء .

قال المهلب : وكون أولاد المسلمين في الجنة، قاله الجمهور، ووقفت طائفة قليلة<sup>(٢)</sup> .

قال البيهقي في كتاب «الاعتقاد» فصل : الأطفال أنهم يولدون على فطرة الإسلام :

ثم أكرم الله تعالى أمته بإلحاق ذرية المؤمن به، وإن لم يعملوا عمله، فجاءت أخبار بدخولهم الجنة، فعلمنا بها جريان القلم بسعادتهم، فمنها حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ : «صغارهم دعاميص الجنة» .

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه أيضا عن النبي ﷺ : «أولاد المسلمين في جبل في الجنة، يكفلهم إبراهيم، وسارة عليهما السلام، فإذا كان يوم القيامة دفعوا إلى آبائهم» .

(١) فتح الباري (٣/ ٣٦٧) .

(٢) المصدر السابق (٣/ ٤١٨) .

وفي حديث معاوية بن قرة عن أبيه عن النبي ﷺ في قصة الرجل الذي مات ابن له، قال : فعزاه النبي ﷺ فقال : «يا فلان، أيا أحب إليك : أن تمتع به عمرك أو لا تأتي غدا بابا من أبواب الجنة إلا وجدته قد سبقك إليه يفتحه لك؟» فقال : يا نبي الله، لا، بل يسبقني إلى أبواب الجنة أحب إلى ، قال : «فذاك لك» . فقام رجل من الأنصار، فقال : يا نبي الله، جعلني الله فداك، أهذا لهذا خاصة؟ أو من هلك له طفل من المسلمين كان ذاك له؟ قال : «من هلك له طفل من المسلمين كان ذاك له» . وقال الشافعي - رحمه الله : وقد جاءت الأحاديث في أطفال المسلمين أنهم يدخلون الجنة .

وعن أم حبيبة أنها كانت عند عائشة رضي الله عنها فجاء النبي ﷺ حتى دخل عليها، فقال : «ما من مسلمين يموت لهما ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث، إلا جرى بهم يوم القيامة حتى يوقفوا على باب الجنة، فيقال لهم : ادخلوا الجنة، فيقولون : حتى يدخل آباؤنا، فيقال لهم : ادخلوا الجنة أنتم وآباؤكم» . رواه الطبراني في الكبير بإسناد حسن جيد .

وعن عقبة بن عامر عن رسول الله ﷺ : أنه قال : «من أكل ثلاثة من صلبه، فاحتسبهم على الله في سبيل الله عز وجل، وجبت له الجنة» . رواه أحمد والطبراني ورواته ثقات .

وفي الصحيحين عن أبي زيد أسامة بن زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ وحبه وابن حبه رضي الله عنهما قال : أرسلت بنت النبي ﷺ أن ابني قد احتضر فاشهدنا، فأرسل يقرئها السلام، ويقول : «إن الله ما أخذ، وله ما أعطى، وكل شيء عنده بأجل مسمى، فلتصبر ولتحتسب» فأرسلت إليه تقسم عليه ليأتينها، فقام معه سعد بن عباد، ومعاذ بن جبل، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، ورجال - رضي الله عنهم، فرفع إلى رسول الله ﷺ الصبي، فأقعدته في حجره، ونفسه تققعق، ففاضت

عيناه ﷺ فقال سعد: يا رسول الله، ما هذا؟ فقال: «هذه رحمة، جعلها الله تعالى في قلوب عباده» .

وفي رواية: «في قلوب من شاء من عباده، وإنها يرحم الله من عباده الرحماء» .

وروى مسلم عن أبي هريرة ؓ: أن امرأة أتت النبي ﷺ بصبي لها، فقالت: يا رسول الله، ادع الله له، فقد دفنت ثلاثة، فقال: «لقد احتظرت بحظار شديد من النار، دعاميص الجنة، يلقي أحدهم أباه، فيأخذ بناحية ثوبه، فلا يفارقه حتى يدخل الجنة» .

وروى مسلم عن أبي هريرة ؓ قال: جاءت امرأة إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله، إنا لا نقدر عليك في مجلس، فواعدنا يوماً نسألك فيه، فقال: «موعدكن بيت فلان» . فجاءهن بذلك الموعد، وكان فيهما حدثهن: «ما منكن امرأة يموت لها ثلاث من الولد، فتحتسبهن، إلا دخلت الجنة» فقالت امرأة: واثنان؟ قال: «واثنان» .

وروى النسائي عن أم قيس بنت محصن رضى الله عنها قالت: توفي ابني، فجزعت عليه، فقلت للذي يغسله: لا تغسل ابني بالماء البارد فتقتله، فانطلق عكاشة بن محصن إلى رسول الله ﷺ فأخبره بقولها، فتبسم، ثم قال: «طال عمرها» فلا نعلم أن امرأة عمرت ما عمرت .

وروى مالك عن سعيد بن المسيب قال: صليت وراء أبي هريرة على صبي لم يعمل خطيئة قط، فسمعته يقول: اللهم أعذه من عذاب القبر .

وروى البخاري عن الحسن بن علي بن أبي طالب - رضى الله عنهما - قال: يقرأ على الطفل فاتحة الكتاب، ويقال: اللهم اجعله سلفاً، وفرطاً، وذخراً، وأجراً .

وروى عبد الرزاق في مصنفه (١٥٩/٦) عن مكحول قال: قال رسول الله ﷺ: «إن ذراري المؤمنين في شجرة عماد الجنة، يكفلهم أبوهم إبراهيم عليه السلام» .



وروى أيضا (١٦٠/٦) عن محمد بن سيرين قال: قال رسول الله ﷺ: «دعوا الحسنة العاقر، وتزوجوا السوداء الولود، فإنى أكاثركم الأمم يوم القيامة، حتى السقط<sup>(١)</sup> يظل محبب<sup>(٢)</sup>» فقال: ادخل الجنة، فيقول: حتى يدخل أبواي، فيقال: ادخل أنت وأبواك.

وروى أيضا (١٦٠/٦) عن عبد الملك بن عمير، وعاصم ابن بهدلة: أن النبي ﷺ قال: «وإن أطفال الأمم المسلمين يقال لهم يوم القيامة: ادخلوا الجنة، فيتعلقون بأحشاء آبائهم وأمهاتهم، فيقولون: ربنا آباءنا وأمهاتنا! قال: فيقال لهم: ادخلوا الجنة أنتم وآبائكم وأمهاتكم، قال: يحىء السقط، فيقال له: ادخل الجنة، قال: فيظل محبب<sup>(٢)</sup> - أى: متفاعسًا - فيقول: أى رب أبى وأمى، حتى يلحق به أبوه وأمّه».

روى الإمام أحمد ومسلم عن أنس مرفوعا: «إن إبراهيم ابنى، وإنه مات فى الثدى، وإن له ظئرين يكملان رضاعه فى الجنة».

وعن بعض أصحاب النبي ﷺ: أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إنه يقال للوالدين يوم القيامة ادخلوا الجنة، قال: فيقولون: يارب، حتى تدخل آباءنا وأمهاتنا، قال: فيأبون، قال: فيقول الله عز وجل: ما لى أراهم محبطين؟! ادخلوا الجنة، قال: فيقولون: يارب، آباؤنا! فيقول: ادخلوا الجنة أنتم وآبائكم» رواه أحمد، ورجاله ثقات، كذا قاله الهيثمى فى المجمع (١١/٣) و (٣٨٣/١٠).

وإن الزوجة الصالحة تلعب دورا كبيرا فى الصبر على وفاة الطفل، وتصبر زوجها، وتنتصر على عاطفة الأمومة فى مقابل إدخال السرور على قلب زوجها، وأمما حادثة تؤكد ذلك، وهى قدوة لكل زوجة صالحة بعدها:

(١) السقط بكسر السين: الولد ذكرا كان أو أنثى، يسقط قبل تمامه، وهو مستبين الخلق، يقال: سقط الولد من بطن أمه سقوطا، فهو سقط بالكسر، والتثنية لغة، ولا يقال: وقع انظر: الفتح الربانى بترتيب مسند الإمام أحمد للشيخ أحمد البنا الساعاتى رحمه الله وولده (٢٠٧/٧).

(٢) أى: متغضبا، والمحبطين، بالهمز: المتغضب المستبطن للشئ، وقيل: هو الممتنع امتناع طلبه لا امتناع إباء، كذا فى النهاية.

روى البخارى عن أنس رضي الله عنه قال: مات ابن لأبي طلحة، وأبو طلحة خارج، فلما رأت امرأته أنه قد هيات شيئا، ونحته في جانب البيت، فلما جاء أبو طلحة، قال: كيف الغلام؟ قالت: قد هدأت نفسه، وأرجو أن يكون قد استراح، فبات، فلما أصبح اغتسل، فلما أراد أن يخرج أعلمته أنه قد مات، فصلى مع النبي صلى الله عليه وسلم ثم أخبره بما كان منهما، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لعل الله تعالى أن يبارك لكما في ليلتكما» قال رجل من الأنصار: فرأيت له تسعة أولاد، كلهم قد قرؤوا القرآن.

وفي رواية أحمد في مسنده (٢٨٧/٣) تفصيل لطيف، فعن أنس رضي الله عنه أن أبا طلحة مات له ابن، فقالت أم سليم: لا تخبروا أبا طلحة حتى أكون أنا الذي أخبره، فسجت عليه، فلما جاء أبو طلحة، وضعت بين يديه طعاما، فأكل، ثم تطيبت له، فأصاب منها، فعلقت بغلام، فقالت: يا أبا طلحة، إن آل فلان استعاروا من آل فلان عارية، فبعثوا إليهم: ابعثوا إلينا بعاريتنا، فأبوا أن يردوها، فقال أبو طلحة: ليس هم ذلك، إن العارية مؤداة إلى أهلها، قالت: فإن ابنك كان عارية من الله عز وجل، وأن الله عز وجل قد قبضه، فاسترجع (أى: أبو طلحة) قال أنس: فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقال: «بارك الله لهما في ليلتهما» قال: فعلمت بغلام.... الحديث.

وأورد النووى - رحمه الله - في كتابه «بستان العارفين» حوادث لطيفة في تعزية الآباء على فقد أبنائهم، فقال - رحمه الله:

قال الشافعى رحمته الله: مات ابن للحسين بن على رضي الله عنه، فلم ير عليه كآبة، فعوتب في ذلك، فقال: إنا أهل بيت نسأل الله تعالى فيعطينا، فإذا أراد ما نكره فيما يحب رضىنا.

قال: وكتب رجل إلى بعض إخوانه يعزيه بابه: أما بعد، فإن الولد على والده ما عاش حزن وفتنة، وإذا قدمه فصلاة ورحمة، فلا تجزع على ما فاتك من حزنه وفتنته، ولا تضع ما عوضك الله من صلاته ورحمته<sup>(١)</sup>.

(١) بستان العارفين (ص ٥٥-٥٦).

وقال التابعى الصالح أبو مسلم الخولانى : «لأن يولد لى مولود، يحسن الله نباته، حتى إذا استوى على شبابه، وكان أعجب ما يكون إلى، قبضه الله منى، أحب إلى من أن يكون لى الدنيا وما فيها» . رواه أبو نعيم فى الحلية (٢/ ١٢٧) .

### ٣- إكمال الطفل المتوفى رضاعه فى الجنة :

وروى البخارى عن البراء رضي الله عنه قال: لما توفى إبراهيم ابن الرسول ﷺ قال رسول ﷺ : «إن له مرضعا فى الجنة» .

وفى رواية لأحمد : «إن له فى الجنة من يتم رضاعه، وهو صديق»<sup>(١)</sup> .

وفى رواية لمسلم : «إن إبراهيم ابنى وإنه مات فى الثدى، وإن له لظئرين فى الجنة تكملان رضاعه فى الجنة»<sup>(٢)</sup> .

وروى ابن ماجه<sup>(٣)</sup> - كتاب ما جاء فى الجنائز - عن فاطمة بنت الحسين عن أبيها الحسين بن على - رضى الله عنهم - قال : لما توفى القاسم ابن رسول الله ﷺ قالت خديجة رضى الله عنها : يا رسول الله، درت لبيبة القاسم، فلو كان الله أبقاه حتى يستكمل رضاعه؟ فقال رسول الله ﷺ : «إن إتمام رضاعه فى الجنة» .

قالت : لو أعلم ذلك يارسول الله، لهون على أمره؟ فقال رسول الله ﷺ : «إن شئت دعوت الله تعالى - فأسمعك صوته» قالت : يارسول الله، بل أصدق الله ورسوله ﷺ .

### ٤ - الصلاة على الطفل المتوفى، والسقط :

وفى زيادة الرحمة على الطفل ورفع درجاته، وفى إدخال مشاركة المسلمين لأهل الطفل المتوفى لتخفيف الحزن عنهم، شرع الرسول ﷺ الصلاة على الطفل المتوفى، وقبول العزاء فيه .

(١) الفتح الربانى للساعاتى (٧/ ٢٠٧) .

(٢) فى سننه مبهم ومتروك .

(٣) فى مسنده مبهم ومتروك .

روى الإمام أحمد عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (وفي رواية الطفل) يصلى عليه ويدعى لوالديه بالمغفرة والرحمة، قال البنا الساعاتي - رحمه الله - ورحم ولده حسناً - في الفتح الرباني (٧ / ٢٠٧) : ورواه النسائي وابن ماجه والبيهقي والترمذي وقال : حديث حسن صحيح، ثم قال في (١ / ٢١٠) :

«وقد ذهب جمهور العلماء إلى مشروعية الصلاة على الصبي، قال النووي - رحمه الله : أما الصبي فمذهبنا ومذهب جمهور السلف والخلف وجوب الصلاة عليه، ونقل ابن المنذر رحمه الله الإجماع فيه» .

ثم نقل المناقشة في حكم المولود الذي يسقط قبل ميعاده، وأقوال العلماء فيه وخلاف العلماء في حكم الصلاة عليه، فمنهم من قال : بالوجوب مطلقاً، ومنهم من فصل : قبل أربعة أشهر، أى : قبل أن تنفخ فيه الروح، وفي مشاركة المسلمين في الصلاة على الطفل، وقبول أهله العزاء، من أعظم الأساليب النفسية النبوية في التخفيف عن الأم صدمة وفاة الطفل، وخاصة عندما يكون المتوفى هو البكر .

أما الطفل فقد ذهب إلى جنان الخلد، ينتظر والديه على باب الجنة، لا يدخل حتى يدخل والداه معه . ويكون هذا الطفل سبباً في بناء بيت الحمد لوالديه في الجنة، إن صبرا وسلماً أمرهما الله تعالى، كما ورد معنا آنفاً . وتستأنف كتابة أجر المصيبة كلما ذكر والداه طفلهما، واسترجعا أى قالاً : إنا لله وإنا إلى الله راجعون، فتجدد الحسنات بتجدد ذكريات الألم، بشرط الاحتساب عند الله تعالى .

فيا لفضل الله الواسع، ورحمته الكبيرة، وأجره الوافر، وكرمه الجزيل، ومنتها العظمى، وشوابه العميم، لهذا الأب وتلك الأم وذلك الطفل . اللهم إني أشهدك، وأشهد حملة عرشك، أن لك ما أعطيت ولك ما أخذت من بكر أولادى عبد الله<sup>(١)</sup>

(١) توفي في (١٧/ رجب/ ١٤٠٦ - ٣٠/ ١٢/ ١٩٨٥) وكنت في العمل - في الكويت - وكانت أمه تدرس في الجامعة، وتم دفنه في مقبرة الصليبيخات في الكويت ظهراً في جناح الأطفال، وكان ألم الفرقة كبيراً، كل ذلك حصل قبل طباعة هذا الكتاب، ولشدة ألم الفراق أسهبت في نقل الأحاديث والآثار لتكون سلواتي، لمن يصاب بذلك وإنا لله وإنا إليه راجعون .

فأحتسبه لديك، فأنت خير مأمول، فلك الحمد ولك الشكر .

## ٥ - الموت حق ولا علاقة للظواهر الكونية بموت أحد :

فعندما توفي إبراهيم ابن الرسول ﷺ . وحزن عليه، ودمعت عيناه الشريفتان ﷺ، كيف لا، وهو القدوة في كل شيء للبشرية جمعاء، فكسفت الشمس، فقال الناس: لقد انكسفت الشمس لموت إبراهيم ابن الرسول ﷺ، فصعد الرسول ﷺ وأعلن للأمة جميعا إلى يوم القيامة :

«إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته» رواه مسلم وهذا لفظه، والبخارى والترمذى والنسائى وغيرهم .

وبذلك بين الرسول ﷺ أن الشمس والقمر وما يحصل لهما من تغيرات وأحوال، إنما ذلك آية من عند الله، لا علاقة لها باتحاد موعد تلك الآية بوفاة أحد من البشر، حتى لو كان ابن الرسول ﷺ، وفي ذلك توجيه عقل المسلم نحو تأمل تلك الظواهر الكونية، واستنباط أسبابها ومسبباتها، والتوجه إلى الله تعالى بالصلاة والدعاء والذكر لكشف الكسوف للشمس والخسوف للقمر، خشية أن يكون ذلك ظاهرة عذاب تنزل على البشر .

ولتبقى القلوب متجهة إلى خالقها، والتأمل في تلك الآيات .

وهكذا وجدت - يا أخى - أن الولد الصالح خير كله، سواء عاش بعد أبويه، فرفع درجات والديه باستغفاره لهما، أو مات قبلهما كان سببا في دخولهما الجنة، ولهذا قال ابن القيم عن الولد : إن عاش بعد أبويه نفعهما، وإن مات قبلهما نفعهما<sup>(١)</sup>.

(١) في أحكام المولود (ص ١٤) .

الأساس العاطفى التاسع : شراسة الصغير دلالة على حدة الذكاء فى الكبر :

روى أنس رضي الله عنه مرفوعا : «عرامة الصبى فى صغره، زيادة فى عقله فى كبره» .  
رواه الحكيم الترمذى عن عمرو بن معد يكرب، وأبو موسى فى أماليه عن أنس،  
ورواه عنه الديلمى، ورمز السيوطى إلى صحته فى الجامع الصغير (٣١٠ / ٤) .

ثم شرحه المناوى بالشكل التالى :

(عرامة الصبى فى صغره) : أى : حدته وشراسته، وإذا العرام : كغراب، الحدة  
والشرس .

وقال الحكيم : العرم : المنكر، وإنما صار منكرا، لصغره، فذاك من ذكاوة فؤاده،  
وحرارة رأسه .

فالصبى إذا بدا منه زيادة بصر فى الأمور وذكاء، قيل : عارم، والعرم بلغة  
اليمن : السد فالصبى يسد باب البلاهة بزيادة ذلك النور، فيهدى للطائف  
الأمور . اهـ .

كثيرون من الآباء يشتكون من شراسة أطفالهم، ويطلبون علاجا لعنادهم،  
وقوة بأسهم، ويرون ذلك أنه مذمة فى الطفل، فالحديث يثبت عكس ذلك .

ولابد أن نميز بين الشراسة النفسية التى تنشأ فى الطفل، من عناده فى بعض  
الأمور، وبين قلة الأدب المرافقة لتلك الشراسة، فعلامه الصحة النفسية تكون  
برفض الواقع السيئ الذى يحس به الطفل، والتعبير عن ذلك إن كان بأدب فهو  
محمود وإن كان بلا أدب فهو المذموم .

ومثاله فى الكبار : الإسلام حق، ولكن أسلوب الإنسان فى العرض إن كان  
جيذا شد الناس إلى الإسلام، وإن كان فظا غليظا انفض الناس من حوله .

كذلك هنا قوة نفسية الطفل، يعبر عنها بالشراسة، فكبتها في الطفل تؤذيه، وتوجيهها بالأدب، وتغذيتها بتعليمه حسن التعبير عن مراده، تقويه، وتزيده بأسا وفهما .

والشراسة دليل لرفض الواقع الأسرى أو الاجتماعي، وهى علامة صحة نفسية، وخاصة في الواقع الحالى المخالف لتعاليم الإسلام في كثير من جوانبه . فإذا تمرد الطفل المؤمن الغيور على دينه على واقع أسرته المخالف لتعاليم الإسلام، فذلك محض الإيمان وأحسن صوره، ولكن يبقى ضرورة إكساب الطفل الآداب، التى مرت معنا حتى لا تناله الألسن بقلة الأدب ولا تتهامس عنه .

الإسلام جاء ليغير الواقع المنحرف إلى الواقع الإسلامى وورقى المجتمع من الكفر إلى الإيمان، ومن عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن جور الأديان والقوانين والعادات والتقاليد إلى عدل الإسلام .

فهو بهذا الاعتبار قد غذى التمرد على الواقع المنحرف في نفس المؤمن عامة، ولو استمرأ الناس الفسق والفجور لزال منهم أضعف الإيمان، كما أخبر الرسول ﷺ : «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان» رواه مسلم .

وفي شراسة الطفل فائدة عقلية تدل على فرط الذكاء، وقوة التفكير، وحسن الرأى . إذ لولا ذلك لما حصل التمرد في نفس الطفل .

وهذا التمرد الإيجابى المفيد نابع من غيرة دينية، وحماس إيمانى، وحب لله ورسوله ﷺ .

أما التمرد السلبي، فهو التمرد نحو الفسق والفجور والكذب، والسلوك المشين، فهذا الذى يحتاج إلى علاج وتقويم وتصحيح، فإذا حصل ذلك - لا سمح

الله .. في الطفل فعلاجه بتقوية العقيدة والإيمان في نفس الطفل، وليس بعلاج النتيجة، أى بعلاج التمرد نفسه، وإنما بعلاج الأساس المنبعث منه التمرد السلبي، فإذا ما تذوق العقيدة بتحبيبه بالقرآن، وربطه برسول الله ﷺ، وسيرته الشريفة، كان ذلك أنفع للطفل، إذ سرعان ما يتحول قلبه من التمرد السلبي إلى التمرد الإيجابي، وسرعان ما تتغير بوصلة القلب من الفسق إلى الإيمان، ومن المعصية إلى الطاعة، وصدق رسول الله ﷺ : « وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهى القلب » رواه مسلم . فتغذية القلب بالإيمان يحرك الأعضاء والجسد إلى السلوك الصحيح المستقيم، وإفساد القلب بأخبار الفساق وملذات الدنيا، ينتج عنه السلوك المنحرف .

فإذاً نفس الشراسة والعناد لا يتم كبته؛ لأن فيه إيذاء وإخفاءً للنفس وعقل الطفل، وإنما يتم تغيير توجهها من الباطل إلى الحق، ومن الانحراف إلى الاستقامة . ذات الشراسة والتمرد محمود لا مذموم، وإنما المذموم طريقة سلوكية تلك الشراسة من الطفل.

وأضرب مثالا حياً وهو إقامة الصلاة، وهى مشكلة عند بعض الآباء وسهلة عند البعض .

فترك الطفل بلا توجيه إيماني، ولا تلاوة قرآنية، ولا قصص عن سيرة الرسول ﷺ ولا عن قصص القرآن، يقابله هو الطفل، سواء مع أصدقاء السوء أو قضاء ساعات أمام الرائي ( التلفاز ) ثم يقول أحد الوالدين للطفل : قم إلى الصلاة، تعال صل معي يا بنى، تعال صل وأنا أعطيك كذا، كل ذلك نتيجة ستكون رفض الطفل للصلاة، بل وأحيانا كراهيته للصلاة، ويتمرد الطفل على والديه، ويأتى الآباء ليقولوا : لقد أمرنا الطفل بالصلاة ولم يصل، إنه عنيد، إنه شرس، أنا لا



أستطيع على إصلاحه، كيف أفعل؟

الجواب : ربط الطفل بالعقيدة، وإملاء وقته بالصالح، وإيجاد أنشطة أسرية جماعية، بحيث تخرج الطفل من دائرته إلى دائرة والديه، وبعد حصول الارتباط الأسري يأتي دور التوجيه الديني والأخلاقي، وبعد أن يعايش الوالدان أطفالهم، يأتي دور كلام الأمر والنهي، أما قبل ذلك، فهو رمى بلا هدف، وبلا فائدة . والله أعلم، وفقنى الله وإياك لحسن القول والعمل .

الأساس العاطفي العاشر : تعبير رؤيا الطفل بتفأول الخير وربطه بالله تعالى :

قص الله تعالى علينا رؤيا سيدنا يوسف وهو يحكيها لوالده فقال سبحانه : ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ۚ ﴾ (١) قَالَ يَبْنَىٰ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۚ ﴾ وَكَذَلِكَ تَجْتَبِيكَ رُبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ (١) إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ [يوسف].

وفي ذلك عدة عبر نفسية تربوية منها :

- ١ - محادثة الابن لأبيه في كل ما يجول بخاطره حتى الرؤيا المنامية .
- ٢ - حسن نداء الابن لأبيه بيا أبت .
- ٣ - عرض رؤيا الطفل على أبيه كاملة .
- ٤ - تفسير الأب لرؤيا ابنه تفسيراً يزرع به التفأول، وتكريم الله تعالى له في المستقبل، وتحذيره من تحديث إخوته برؤياه .
- ٥ - إثبات وجود الكيد والحسد والغيرة بين الإخوة، وإن الكيد والحسد يأتي من

(١) فيه دلالة على جواز تسمية العم أبا .

الكبير تجاه الصغير وليس العكس .

٦ - ربط الطفل بالله تعالى وإنعامه وتحديث الطفل بفضل الله ورحمته وكرمه والله أعلم .

وروى البخارى عن سمرة بن جندب قال : كان رسول الله ﷺ إذا صلى صلاة، أقبل علينا بوجهه، فقال : «من رأى منكم الليلة رؤيا؟» قال : فإن رأى أحد رؤيا قصها، فيقول : «ما شاء الله» ... الحديث . وفى رواية لمسلم قال : كان النبى ﷺ إذا صلى الصبح أقبل عليهم بوجهه فقال : «هل رأى أحد منكم البارحة رؤيا» .

لهذا أحب الصغار أن يشاركوا فى الرؤيا وطلب تعبيرها من الرسول ﷺ . روى مسلم عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : كان الرجل فى حياة رسول الله ﷺ إذا رأى رؤيا قصها على رسول الله ﷺ، فتمنيت أن أرى رؤيا أقصها على النبى ﷺ قال : كنت غلاما شابا عزبا، وكنت أنام فى المسجد على عهد رسول الله ﷺ، فرأيت فى النوم كأن ملكين أخذاني، فذهبا بى إلى النار، فإذا هى مطوية كطى البئر، وإذا لها قرنان كقرنى البئر، وإذا فيها ناس قد عرفتهم، فجعلت أقول : أعوذ بالله من النار، أعوذ بالله من النار، أعوذ بالله من النار، قال فلقيهما ملك، فقال لى : لم ترع، فقصصتها على حفصة، فقصصتها حفصة على رسول الله ﷺ فقال النبى ﷺ : «نعم الرجل عبد الله، لو كان يصلى من الليل» . ورواه البخارى والترمذى والنسائى وابن ماجه وأحمد والدارمى .

فلا بأس من سؤال الأطفال فى كل صباح عن رؤياهم، وتعبيرها لهم بما فيه الخير وعمله، والنوافل وعملها، والطاعات والمسارة إليها، وبالله التوفيق .